

المحاضرة الأولى: المعرفة وأنواعها

تمهيد:

عند الحديث عن المعرفة تبرز عدة تساؤلات: ما طبيعة المعرفة؟ وما أنواع المعرفة؟ وما مصادرهما؟ وما أبعادها وضوابطها؟ وما علاقتها بعدد من المصطلحات الأخرى ذات العلاقة؟ وما مناهجها؟ وغيرها من الأسئلة المتعلقة.

ولهذا سنتناول في هذه المحاضرة:

ما المعرفة لغة واصطلاحاً

الصلة بين المعرفة والعلم

الألفاظ المرادفة للعلم والمعرفة

بعض أنواع المعرفة

ما هي المعرفة؟

- المعرفة مصدر من عرف يعرف، فهي عكس الجهل.
- وتطلق كلمة المعرفة على كل ما وصل إلى إدراك الإنسان من تصورات، مثل المشاعر، أو الحقائق، أو الأوهام، أو الأفكار، التي قد تسهم في التعرف على البيئة من حوله والتعامل معها، أو قد لا تسهم، أو تضر به.
- عرف الشيء أدركه بالحواس أو بغيرها، والمعرفة إدراك الأشياء وتصورها،
- ولها عند القدماء عدة معان: منها إدراك الشيء بإحدى الحواس، ومنها العلم، مطلقاً تصوراً كان أو تصديقاً، ومنها إدراك البسيط سواء كان تصوراً للماهية أو تصديقاً بأحوالها، ومنها إدراك الجزئي سواء كان مفهوم جزئياً أو حكماً جزئياً، ومنها إدراك الجزئي عن دليل، ومنها الإدراك الذي هو بعد الجهل.
- كما يمكن تعريفها بأنها "مجموعة من المعاني والمفاهيم والمعتقدات والأحكام والتصورات الفكرية التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به"

ويطلق لفظ المعرفة عند المحدثين على أربعة معانٍ:

الأول هو الفعل العقلي الذي يتم به حصول صورة الشيء في الذهن سواء كان حصولها مصحوباً بالانفعال أو غير مصحوب به، وفي هذا المعنى إشارة إلى أن في المعرفة تقابلاً واتصالاً بين الذات المدركة والموضوع المدرك. ونظرية المعرفة التي سنتكلم عنها فيما بعد تدرس المشكلات التي تثيرها علاقة الذات بالموضوع .

الثاني هو الفعل العقلي الذي يتم به النفوذ إلى جوهر الموضوع لتفهم حقيقته، بحيث تكون المعرفة الكاملة بالشيء في الواقع .

الثالث هو مضمون المعرفة بالمعنى الأول. والرابع هو مضمون المعرفة بالمعنى الثاني.

وهذه المعاني وحدها كافية للدلالة على أن للمعرفة درجات متفاوتة، أداها المعرفة الحسية المشخصة، وأعلىها المعرفة العقلية المجردة .

- وهناك من يفرق بين المعرفة الحدسية المباشرة والمعرفة الاستدلالية التي تحتاج إلى وسائل وانتقالات.

- وإذا كانت المعرفة تامة كانت مطابقة للشيء تمام المطابقة، ويرادفها العلم.

- وإذا كانت غير تامة كانت مقصورة على الإحاطة بجانب واحد من جوانب الشيء.

- وللمعرفة التامة صورتان: إحدهما ذاتية، وهي التي يتم بها تصور الشيء تصوراً واضحاً دون غموض أو التباس، والأخرى موضوعية وهي التي يكون فيها تصور الشيء مطابقاً لما هو عليه في الحقيقة .

- وكثيراً ما يراد بالمعرفة مضمونها ونتيجتها، لا الفعل الذهني الذي تتم به، ومنه قولهم: المعارف الإنسانية.

- وجملة القول أن المعرفة تطلق على معنيين أساسيين الأول هو الفعل العقلي الذي يدرك الظواهر ذات الصفة الموضوعية، والثاني إطلاقها على نتيجة ذلك الفعل أي على حصول صورة الشيء في الذهن.

ما الفرق بين العلم والمعرفة؟

- وفي التفريق بين المعرفة والعلم قالوا أن المعرفة إدراك الجزئي، والعلم إدراك الكلي، وأن المعرفة تستعمل في التصورات والعلوم في التصديقات، ولذلك تقول عرفت الله دون علمته، لأن من شرط العلم أن يكون محيطاً بأحوال المعلوم إحاطة تامة. ومن أجل ذلك وصف الله بالعلم لا بالمعرفة، فالمعرفة أقل من العلم، لأن للعلم شروطاً لا تتوافر في كل معرفة، فكل علم معرفة، وليس كل معرفة علماً.

لوقوف على دلالات العلم والمعرفة بُغية تحديد مفهومهما يتطلب الخوض في مباحث العلماء الفكرية، المتعددة الألوان والاتجاهات اللغوية والعقدية؛ لأنهم يتصرفون بالألفاظ ويُطوِّعون معانيها لأفكارهم، وينقلون دلالتها إلى عُرفهم. لذا كان الرجوع إلى الأصل اللغوي مهماً لفهم الدلالة، وتحديد الحقل الدلالي؛ لضبط المصطلحين .

الفروق اللغوية

- نتيجة للتداخل بين مصطلحي العلم والمعرفة، فلا مندوحة من تتبُّع المصطلحين؛ لضبط الفروق بينهما، ولأن لكل مصطلح علاقة بأصله اللغوي، كان لزاماً علينا الرجوع إلى المعاجم، فكلمة "علم" قالوا عنها: "سمي العلمُ علماً من العلامة، وهي الدلالة والإشارة، ومنه معالم الأرض والثوب.

والمعلمُ: الأثر يستدل به على الطريق، والعلم من المصادر التي تجمع.

وقال الزمخشري: "ما علمت بخبرك: ما شعرت به.

فيكون بمعنى الشعور، والعلم نقيض الجهل، وقال عنه الفيروزآبادي: هو حق المعرفة.

أما المعرفة فهي من العُرف ضدَّ النكر، والعرفان خلاف الجهل، وتعرَّفْتُ ما عند فلان، مصدره التعرُّف: تَطَلَّب الشيء، وعرِّفه الأمر: أعلمه إياه، وعرِّفه به، وسمه، وجاء من المصدر "معرفة، على غير القياس؛ لفعله الذي هو على وزن "يَفْعَل"؛ إذ إنَّ أكثره يأتي على وزن "مَفْعَل".

- وعند ابن فارس: المعرفة والعرفان من العلم بالشيء، يدلُّ على سكون إليه؛ لأنَّ من أنكر شيئاً توخَّش منه ونبا عنه،

- كما وردت بمعنى المجازاة؛ قال الزمخشري: لأعرفن لك ما صنعت؛ أي: لأجازيك به .
- وفي مادة عرف حروف "رفع"، ومن ثم كان هذا المعنى مناسباً؛ حيث وردت كلمة "المعرفة"؛ لتدل على ما هو: "عالٍ، مكرم، وطيب"؛ إذ يقال للقوم إذا تَلَمَّوا: غطوا معارفهم، وتقول: بنو فلان عَرُّ المعارف، وتقول: ما أطيَّبَ عَرْفَهُ! وهو الأنف وما والاه،
- وتطلق "معرفة" على أعراف الخيل؛ أي: على الشعر الذي يعلو رقاب الخيل، وقلة عرفاء: مرتفعة، وأعرُورُف البحر: ارتفعت أمواجه.
- فالمعرفة حاصلة بعد عدم، وذلك العدم هو إمَّا لجهل أصليِّ بالشيء، أو لنسيان بعد معرفة، فكان عدماً بين معرفتين، فكأنَّ الشيء كان مختفياً عن الذَّهن؛ ثم تجلَّى أمامه بارتفاعه وعلوه عن غيره من المدركات في تلك اللحظة، فصار مُمَيِّزاً وبيِّناً وواضحاً في الذَّهن بعد خفائه عنه لجهل أو لنسيان فهو علا في صفحة الذَّهن بعد تستره وخفائه؛
- إذ المعرفة علمٌ بعَيْنِ الشيء مُفَصَّلاً عما سواه؛ أي: يعلو في الإدراك، ويُميز عما يكتنفه من مُتَشابهات، فيتميز المعلوم من غيره،
- وسر المسألة: أنَّ المعرفة لتمييز ما اختلط فيه المعروف بغيره فاشتبه، فالمعرفة تمييز .
- والمعرفة فعلها يقع على مفعول واحد، فتقول: عرفت الدار، وعرفت زيِّداً؛ قال تعالى: (فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ) يوسف: 58.
- أمَّا فعل العلم، فيقتضي مفعولين؛ كقوله - تعالى: (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ) (الممتحنة: 10).
- نلاحظ قريباً بين معنى العلم ومعنى المعرفة، ذلك أنَّ كلاً منهما يُعَدُّ علامة أو دلالة على شيء، - وإن كانت المعرفة تُدُلُّ على ما ارتفع من الشيء، والمعرفة بمعنى المجازاة إنَّما تتضمن العلم بحال المجازى وقدره، وفي المعرفة علم بسبب المجازاة، وفيها علم وعمل، وفيها ارتفاع لقدر المعروف على العارف، ومن ثم كانت معرفة الله: العلم اليقيني به، وعمل ما يتناسب مع قدره سبحانه. المعرفة تشمل في معانيها الاعتراف والإقرار، وهما علم وأدلة.

الفروق الاصطلاحية

1. المعرفة عند البعض أخصُّ من العلم؛ لأنَّها علمٌ بعَيْنِ الشيء مُفَصَّلاً عما سواه، وكل معرفة علم، وليس كل علم معرفة،
2. والمعرفة تقال فيما يُتَّوَصَّلُ إليه بتفكير وتدبير، وتستعمل فيما تدرك آثاره، ولا يدرك ذاته، تقول: عرفت الله، وعرفت الدار، والعلم يستعمل فيما يدرك ذاته، وحال الإبهام تقول: عرفت زيِّداً، بعد أن لم تكن، ولا تقول: علمت زيِّداً.
3. وقيل: العلم يكون بالاكتساب، فخصَّ به الإنسان، والمعرفة بالجبلة، فهي إدراك جُزئي يحصل بواسطة؛ لذلك يقال: عرفت الله، ولا يقال: علمت الله، فالعلم لما يدرك ذاته مع الإحاطة به.
4. وقيل: العلم أخصُّ من المعرفة؛ لأنَّها قبله؛ إذ تكون مع كل علم معرفة، وليس مع كل معرفة علم، إلى جانب تضمينها للخبرة العملية، فالمعرفة هي ثمرة التقابل والاتصال بين الذات المدركة والموضوع المدرك، وتتميز من باقي معطيات الشعور، من حيث إنَّها تقوم في آنٍ واحد على التقابل والاتحاد الوثيق بين هذين الطرفين .

5. فالمعرفة تقال على استنباط المحصول المُدرَك، خصوصاً إذا تكرر إدراكه، فإنَّ المُدرَك إذا أُدرِك شيئاً، فحفظ له محصولاً في نفسه، ثم أدركه ثانيًا، وأدرِك مع إدراكه له أنَّه ذلك المُدرَك الأول، قيل لذلك الإدراك الثاني بهذا الشرط: (معرفة).

6. والمعرفة عند جمهور الناس أصلها قد يقع ضروريًا فطريًا، وقد يحتاج إلى النظر والاستدلال،

7. والبعض يرى أنَّ المعرفة لا تكون إلا مكتسبة، فلا يجوز أن تقع بالضرورة لارتفاع الكلف.

8. العلم يقال لإدراك الكلي أو المركب، والمعرفة تقال لإدراك الجزئي أو البسيط،

9. والمعرفة تنصرف إلى ذات المسمَّى، أمَّا العلم فينصرف إلى أحواله من فضل ونقص، ولذا جاء الأمر في القرآن بالعلم دون المعرفة، وميز بينهما.

10. كما أنَّ العلم يقابله في الضدَّ الجهل والهوى، أمَّا المعرفة فهي ضد الإنكار والجحود.

الألفاظ المرادفة للعلم والمعرفة:

- أخذ العلم مفهومًا جامعًا لمعاني كثيرة، ذلك لأنَّ العلم أو المعرفة علاقة بين عالم ومعلوم، وبين ذات عارفة وموضوع معروف، فهو من جهة ذاتي، ومن جهة أخرى موضوعي؛ أي: له موضوع متحقق في الخارج،

- ثم العلم أو المعرفة درجات تبدأ من الحس إلى التجريد العقلي، ثم الحفظ والتذكر، ثم التفكير والتدبُّر .

- وللعلم درجات من حيث الشك والظن واليقين، وفيه حركة للفكر في المعقولات، كما أن فيه انقداح فكر وخاطر، وسرعة بديهية وذكاء، وقد يكون العلم علمًا مجردًا سطحيًا، كما قد يكون علمًا مستغرقًا عميقًا، أو فقهاً.

- لذلك كلُّه نجد أنَّ للعلم أو المعرفة مرادفات كثيرة، وإن كان لكل لفظ مرادف له علاقة بالعلم الشامل من جهة ما، واختصاص من جهة أخرى،

- وكلها درجات للعلم في النفس تصعد وتنزل، نُحاول ذكر أهم مرادفات العلم والمعرفة في القرآن، وإن كان لكل لفظ شيء من زيادة معنى.

١. الشعور: والشعور في اللغة بمعنى علم وفطن ودرى. والمشاعر هي الحواس. قال الزمخشري: (وما شعرت به: ما فطنت له وعلمته .. وما يشعركم: ما يدرككم). والشعور: علم الشيء علم حس. والشعور عند علماء النفس: إدراك المرء لذاته أو لأحواله وأفعاله، إدراكا مباشرًا وهو أساس كل معرفة.

٢. الإدراك: وهو اللقاء والوصول. فيقال أدرك الغلام وأدركت الثمرة. قال تعالى: (قال اصحاب موسى إنا لمدركون) (الشعراء: 71). فالقوة العاقلة إذا وصلت على المعقول وحصلتها كان ذلك إدراكًا من هذه الجهة. ويطلق الإدراك كذلك على مجموعة معان تتعلق بالعلم هي: ما يدل على حصول صورة الشيء عند العقل سواء أكان ذلك الشيء مجردًا أو ماديًا، أو جزئيًا أو كليًا، أو حاضرًا أو غائبًا.

٣. التصور: وهو حصول صورة الشيء في العقل. كحصول صورة القلم مثلًا في الذهن فنحكم على ذلك لاشيء بأنه قلم،

4. الحفظ: يعرفه الجرجاني بأنه ضبط الصور المدركة.

5. التذكر: الصور المحفوظة إذا زالت عن العقل وحاول الذهن استرجاعها فتلك المحاولة هي التذكر.

6. الفهم والفقہ: والفہم (تصور الشئ من لفظ المخاطب). والفقہ (هو العلم بغرض المخاطب من خطابه). والمتبادر من الفقہ تأثير العلم في النفس الدافع للعمل.

7. العقل: وهو العلم بصفات الأشياء. وقد استعمل القرآن كثيرا كلمة (يعقلون) بمعنى يعلمون.

9. الحكمة: وللحكمة معان كثيرة. منها: العلم والفقہ وما يمنع من الجهل.

10. وهناك ألفاظ أخرى لها صلة بالعلم والمعرفة مثل: البديهة، والكياسة، والخبرة، والرأي، والفراسة ... الخ.

أنواع المعرفة

- تشمل المعرفة مجموع المعارف الروحية، والوثنية، والاقتصادية والسياسية، والثقافية والعلمية و ... في الوقت نفسه،
 - لذا توجد أنواع مختلفة من المعارف فإذا كان إدراجها ضمن فئات معينة قد شابه نوع من الاختلاف بين المفكرين إلا أن هذا الاختلاف يعود بالدرجة الأولى إلى المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها صاحبها.
 - ولذا يمكن تقسيمها عدة تقسيمات أو تسمية عدة أنواع من المعرفة:
- المعرفة العامية، والدينية، والميتافيزيقية، والفلسفية، والسياسية، والتقنية، والمعرفة العقلية، التجريبية، والتنظيرية، والوضعية، والجماعية، والفردية ... الخ.
- وأهم هذه الأنواع:

المعرفة الحسية Sensuous knowledge

- هي من أقدم أنواع المعرفة الإنسانية، وابتسط وسيلة لاكتساب تلك المعرفة وأسهلها استنتاجا وملاحظة، وتتمثل هذه المعرفة بالإدراك الحسي، إذ تعتمد أصلا على الحواس والخبرة اليومية التي لا تحتاج إلى حجج وبراهين تدعم وجودها وتعزز مكانتها وتؤيد أفكارها وحقائقها.
- فالإنسان يستخدم حواسه المختلفة كأدوات للاتصال بالمحيط الذي يعيش فيه، حيث يقوم بنقل المعلومات التي تصله من خلال حواسه إلى الدماغ باستخدام العديد من العمليات والفعاليات والتي تنحصر في ملاحظة الظواهر دون أن يوجه اهتمامه للبحث عن إيجاد صلات أو العلاقات التي تربط فيما بينها، أي إنها معرفة عادية يومية قائمة على الخبرة والمران.

المعرفة العقلية Rational Knowledge

- أما المعرفة العقلية فهي التي يكون أساسها العقل،
- وهي المعرفة التي تعتمد على المنطق وعلى الحساب وتميل إلى التجربة والإستنباط والسير والتحليل،
- وهذه المعرفة تكون قريبة من الصواب، ولا يمكن أن تكون كاملة لأنها نسبية،
- وهي تكملة للمعرفة الحسية، فالعين ترى الشمس كالقرص في الحجم لكن العلم أثبت أنها أكبر، ولون ماء البحر أزرق لكن في الأصل لالون له.

المعرفة الفلسفية Philosophical Knowledge

- وتسمى المعرفة التأملية أو العقلية. حيث يسعى الإنسان من خلالها للبحث عن الحقيقة فيما وراء المحسوسات. أي البحث عن الأسباب والعلاقات التي تحيط بالظواهر والأحداث ولكن بشكل تأملي منطقي بحث، ولكن دون استخدام التجارب أو المحاولات البحثية.

- وهي معرفة عقلية تحتاج إلى مستوى ذهني أعلى مما تتطلبه الحياة اليومية أو المعرفة الحسية والتجارب اليومية الاجتماعية.

- وهي التي تميل إلى الرأي وأساسها البحث في الكون وعن الحقيقة بالتأمل واستعمال النظر وهي تجمع بين المعارف الحسية والعقلية والعلمية وتعمل على الانتقال بها إلى المطلق، وهذه المعرفة عادة ما تفتح الباب لإستعمال التأمل وتقديم بعض الإجابات عن الأسئلة التي تطرح والتي يعسر وجود الجواب عليها عند العقل، وهذه المعارف تبقى نظريات قابلة للخطأ والصواب، وجامعة بين المعارف النسبية.

المعرفة العلمية Scientific Knowledge

- تعتبر المعرفة العلمية أرقى درجات المعرفة وأدقها، يسعى من خلالها الإنسان إلى معرفة ما يحيط به من ظواهر وحوادث وأشياء.

- وهي تأتي نتيجة لمجهود فكري منظم يتخصص بدراستها دراسة موضوعية. وذلك عن طريق البحث المخطط والمنظم والتجربة القائمة على الأسلوب العلمي.

- والطريقة العلمية تعبير اصطلاحى للتعبير عن الخطوات التي يتبعها الباحث عندما يتطرق منطقيا لأية مشكلة، والتي هي نشاط فكري يتضمن جمع وتنظيم وتصنيف ويرمجة المعلومات والبيانات الموضوعية التي تم اشتقاقها من الظواهر والأشياء المرتبة وغير المرتبة.

- وتعتمد هذه المعرفة أساسا على عمليتي الاستقراء Induction والاستنباط Deduction معا.

وماذا بعد؟

لا شك أن ما تناولناه في هذه المحاضرة أثار أمامنا تساؤلات عديدة، مثل:

- طبيعة المعرفة - إمكان المعرفة - مصادر المعرفة - مناهج المعرفة - أهم النظريات وأهم الذين تناولوا قضايا المعرفة.

- ولهذا فإن أهمية تناول نظرية المعرفة كبناء نظري متكامل يتناول مختلف أوجه القضية يبدو من الأهمية بمكان. لأن إدراكنا لهذا الموضوع بصورة بناء نظري متكامل تعطي لنا القدرة على فهم مختلف النظريات المتعلقة بالمعرفة وإمكانها ومصادرها وأنواعها ومناهجها وضوابطها، لنستطيع بعد ذلك أن نتيبين ما هو الصواب فيها وما هو الخطأ، كما نتيبين من خلالها ما يمكن أخذه وما يمكن رده ردا علميا مبرهنا.

- وهذا هو مجال مقررنا في المحاضرات المتبقية. بمعنى أن له فائدتان:

- فائدة نظرية ببناء وعينا وفهمنا الفكري والعلمي للموضوع.

- وفائدة عملية تمكننا من امتلاك أدوات تميز بها مختلف النظريات العلمية ومواقفها وتطبيقاتها.

عنوان المحاضرة

المحاضرة الثانية

المعرفة وفلسفة العلم والابستمولوجيا

تمهيد:

أولاً: المعرفة والفلسفة:

١. مباحث الفلسفة.

٢. قضايا المعرفة قضايا فلسفية (إمكان المعرفة، حدود المعرفة، طبيعة الفلسفة، ...)

ثانياً: نظرية المعرفة:

1. مفهوم النظرية:

2. خصائص النظرية :

3. نظرية المعرفة:

ثالثاً: المعرفة والابستمولوجيا

أولاً: المعرفة والفلسفة:

1. مباحث الفلسفة

عادة ما يميز مؤرخو الفلسفة والدارسون المهتمون بمجال التفكير الفلسفي بين ثلاثة مباحث كبرى شكلت مجال اهتمام الفلاسفة طيلة المسار التاريخي للإنتاج الفكري الفلسفي؛

وتتمثل في مبحث الوجود أو ما يسمى بالأنطولوجيا، ومبحث المعرفة الذي يمكن التمييز فيه بين نظرية المعرفة كفرع فلسفي يهتم بالمعرفة عموماً، والابستمولوجيا أو ما يسمى بفلسفة العلوم وهي التي تهتم بقضايا وإشكالات تتعلق بالمعرفة العلمية الدقيقة بوجه خاص، أما المبحث الثالث فيتمثل في مبحث القيم أو ما يسمى بالأكسيولوجيا، وهو الذي يهتم بثلاث قيم عليا رئيسية هي: الحق والخير والجمال.

2. قضايا المعرفة قضايا فلسفية:

هكذا يتبين أن الإشكالات المرتبطة بالمعرفة هي من صلب اهتمام الفيلسوف، وتشكل بجانب الإشكالات الأنطولوجية الميتافيزيقية والإشكالات الأكسيولوجية القيمية الأرضية الفكرية الأساسية التي انصبحت عليها معاول التفكير الفلسفي، وفلحت تربتها أسئلته الباحثة عن جذور الأفكار والمقلبة لأوجهها المتعددة في أفق الكشف عن درجات الصحة أو اليقين التي تمثلها.

وإذا كان الإنسان كائناً عاقلاً، وكان عقله قد مكنه من القدرة على إنتاج مجموعة من الأفكار والمعارف، فإن العقل الفلسفي قد اهتم بهذه القدرة بالذات التي يتميز بها الكائن البشري عن عموم الموجودات الطبيعية الأخرى، وطرح حولها العديد من الأسئلة التي تكون في ترابطها وتداخلها الإشكالية المعرفية التي نحن بصدد تناولها والبحث فيها.

ومن أهم تلك الأسئلة التي تشكل الفضاء الإشكالي المتعلق بمجال المعرفة، نذكر تلك المتعلقة بإمكان المعرفة ومصدرها وحدودها ووظيفتها.

وقد تميز تاريخ الفلسفة بظهور عدة مذاهب واتجاهات جسدت مواقف متعددة، وقدمت إجابات مختلفة - متشابهة أحياناً ومتعارضة أحياناً أخرى - بصدد تلك الإشكالات المعرفية

وسنركز في محاضرتنا هذه على إشكاليين معرفيين رئيسيين، أحدهما يخص إمكان المعرفة بينما يخص الآخر حدودها، مثيرين أثناء ذلك تساؤلات تتعلق أيضاً بمصدر المعرفة وطبيعتها ومنهجها، نظراً لما يوجد من تداخل بين كل هذه الإشكالات التي تطرح حول مسألة المعرفة في حقل التفكير الفلسفي .

1.2. إمكانية المعرفة:

يمكن التعبير عن الإشكالية المتعلقة بإمكان المعرفة من خلال التساؤلات التالية: هل المعرفة ممكنة؟ وهل بإمكان العقل إنتاج معرفة حقيقية بالإنسان وبالطبيعة وما وراء الطبيعة؟ وما هي الأسباب أو المحددات التي تجعل هذه المعرفة ممكنة أو غير ممكنة؟

في إطار معالجة هذه الإشكالية، يمكن التمييز بين فريقين متعارضين؛ أحدهما يشكك في إمكانية وجود الحقيقة ويقر بعجز العقل وعدم قدرته على بلوغ أية معرفة صحيحة بالأشياء والظواهر، ويمثل هذا الموقف الفلاسفة الشكاك أو أصحاب الشك المذهبي الذين اتخذوا الشك عقيدة لهم في الحياة، بحيث أنكروا جميع الحقائق ولم يستطيعوا الخروج من دائرة الشك. أما الفريق الآخر فيمثل الفلاسفة الاعتقاديون أو الوثوقيون الذين يثقون في قدرة العقل على بلوغ الحقيقة واليقين، ويقولون بالتالي بإمكانية بلوغ الحقيقة ويعترفون للعقل قدرته على بلوغ المعرفة المتعلقة بالظواهر سواء كانت طبيعية أم إنسانية.

2.2. حدود المعرفة:

لقد أشرنا في معرض حديثنا عن الموقف التجريبي إلى أنه يجعل حدود المعرفة محصورة في نطاق ما هو حسي تجريبي. هكذا فقد عمل لوك وهيوم على تنفيذ الموقف العقلاني القائل بوجود الأفكار الفطرية، واعتبروا أن الخبرة الحسية هي بداية أي بحث عن أية معرفة صحيحة وحقيقية.

ثانياً: نظرية المعرفة:

1. مفهوم النظرية:

النظر هو التفكير والتأمل الذي يصدر من النفس في الأمور المعلومة للحصول منها أو عبرها على الأمور المجهولة، وبالتالي يمكن تعريف النظرية بأنها (مقدمات فكرية وعقلية باتباعها وإعمال قواعدها نحصل على نتائج ومعارف مستنبطة من تلك المقدمات).

والنظرية هي (مجموعة من المفاهيم والتعريفات والمقترحات المترابطة التي تمثل نظرة منظمة للظواهر وذلك بتحديد العلاقات بين المتغيرات بغرض تفسير الظواهر والتنبؤ بها).

وللنظرية تعريفات أخرى كثيرة، كلها تدور حول أنها معارف وعلوم أخذت شكل القواعد العلمية المتفق عليها والتي يستعان بها في وضع النظم وحلول المشكلات.

والنظرية (**theory**) تصور أو فرض علمي يربط عدة قوانين بعضها ببعض، ويردها إلى مبدأ واحد، يستنبط منه أحكاماً وقواعد، يتسم بالعمومية، وينتظم علماً أو عدة علوم، ويقدم منهجاً للبحث والتفسير، ويربط النتائج بالمبادئ. وللنظرية اصطلاحاً عدد من المعاني المختلفة باختلاف الفرع الذي تستخدم فيه هذه الكلمة.

فالنظرية عند الفلاسفة تركيب عقلي، مؤلف من تصورات منسفة، تهدف إلى ربط النتائج بالمبادئ والإجابة عن مشكلة فلسفية معيّنة. فالنظرية الفلسفية مكونة من عدد مترابط من الحجج، يدعم بها الفيلسوف وجهة نظره تجاه عدد من القضايا الفلسفية التي يثيرها الذهن، على سبيل المثال حول طبيعة الوجود والإنسان والحياة والمعرفة والحرية والتطور والعلل واليقين والاحتمال ونحو ذلك. ويكوّن مجموع هذه النظريات الفلسفية المترابطة كلاً عضويًا يحدد المذهب الفلسفي لذلك الفيلسوف.

كما تطلق النظرية على ما يقابل **الممارسة العملية practice** في مجال الواقع حينما تدل على المعرفة الخالية من الغرض، المتجردة من التطبيقات العملية (أي المعرفة الافتراضية غير المحققة).

وعلى اختلاف النظرية عن الممارسة، فإنها مرتبطة بها، فالممارسة جزء لا يتجزأ من كل نظرية، ومعيار صدقها، فكلاهما مقولتان تبرزان الجانبين الروحي والمادي لمعرفة العالم الموضوعي؛ النظرية بوصفها نسق من المعرفة الإنسانية المعممة والممارسة بوصفها النشاط العملي الاجتماعي.

والنظرية بهذا المعنى هي المحمل الكلي لمعرفة الناس وتفسيرهم الجوانب المختلفة للواقع، والممارسة هي نشاطهم لدعم الوجود وتطور المجتمع.

وقد تطلق النظرية على ما يقابل **المعرفة العلمية** حينما تدل على ما هو موضوع تصور منهجي منظم ومتناسق - كالرأي أو الفرضية - تابع في صورته لبعض المواضع العلمية التي يجهلها عامة الناس، وهنا لا يستوجب أن تكون النظرية مبنية على حقائق.

أما في المجال العلمي (العلوم التجريبية) فتشير النظرية إلى نموذج مقترح لشرح ظاهرة أو ظواهر معيّنة بإمكانها التنبؤ بأحداث مستقبلية، ويمكن نقدها، أي تقدم شرحاً لآلية حدوث الظواهر الطبيعية بشرط تحقق حدوث هذه الظاهرة وعدم وجود نزاع في حدوثها، وتكون عموماً عرضة للصواب أو الخطأ والنقد والتطوير، بيد أن التماسك المنطقي والرياضي للنظرية وشرحها لأكثر عدد ممكن من النتائج التجريبية يدعم النظرية، و يعطيها تأكيداً أكثر فأكثر.

وتزداد النظرية صحة؛

إما حينما تقدم تنبؤات بشأن ظواهر غير مثبتة، لكن يتم إثباتها لاحقاً بالتجارب، فنظرية النسبية العامة مثلاً تنبأت بانحرافات دقيقة في مدار الكوكب عطارد لم تكن مرصودة بعد، وتم التحقق من ذلك بعد ظهور النظرية مما أعطاها مصداقية أكبر؛

وإما حينما تبرهن النظرية على خطأ نظرية ما، كخطأ نظرية أرسطو (مركزية الأرض) بأن الأرض هي مركز الكون وأن الكواكب والنجوم تدور حول الأرض، وثبتت صحة نظرية فيلاكوس **Philacus** بأن الشمس هي المركز (مركزية الشمس).

2. خصائص النظرية :

- تفسير الحقائق التي نلاحظها، مع شرح حدوث الظاهرة موضوع النظرية في أبسط صورة بعيد عن التعقّد اللفظي.

- متجانسة مع الحقائق التي نلاحظها ومع المعرفة القائمة حالياً.

- يجب أن تتطوي على وسائل التحقق منها ويتم ذلك من خلال استقراء النظرية والحصول منها على فروض.

- يجب أن تؤدي النظرية إلى اكتشافات جديدة وتشير إلى مجالات أخرى في حاجة للبحث.

- وتحقق الهدف من وضع النظريات في العلوم الطبيعية بشكل أفضل مما هو حادث في العلوم الاجتماعية بحكم أن العلوم الطبيعية هي الأقدم.

3. نظرية المعرفة:

- هي دراسة منهجية منظمة لقضية العلم أو مسألة المعرفة بدراسة ماهية المعرفة وإمكانها وطبيعتها وطرق الوصول إليها وقيمتها وحدودها.
- أي هي بحث في المشكلات الناشئة عن العلاقة بين الذات العارفة والموضوع المعروف، والبحث عن درجة التشابه بين التصور الذهني والواقع الخارجي.

ثالثاً: نظرية المعرفة والابستمولوجيا:

الابستمولوجيا epistemology مصطلح ذو أصل إغريقي مؤلف من كلمتين: epistemo وتعني المعرفة و logos وتعني علم. ويعني المصطلح حرفياً علم المعرفة أو علم العلم.

أما المعنى المعاصر لمصطلح إبستمولوجيا في الفلسفة العربية والفرنسية فهو: الدراسة النقدية للمعرفة العلمية.

ويعرف المعجم الفلسفي - الصادر سنة 1983 عن مجمع اللغة العربية لجمهورية مصر العربية- الابستمولوجيا بأنها (دراسة نقدية لمبادئ العلوم المختلفة، وفروضها، ونتائجها، وتهدف إلى تحديد أصلها المنطقي وقيمتها الموضوعية).

وتطلق في اللغة الانجليزية على نظرية المعرفة بوجه عام. يقول رونز: "الابستمولوجيا أحد فروع الفلسفة الذي يبحث في أصل المعرفة، وتكوينها، ومناهجها و صحتها".

ولكن المعنى الأنغلو ساكسوني هو معنى "نظرية المعرفة بصورة عامة" أكثر مما هو "نظرية العلم"؛ ومصطلح "فلسفة العلوم" الفرنسي، يستخدم مرادفاً للإبستمولوجيا استخداماً شائعاً.

ومع أن مفهوم «العلم» حاضر في تاريخ الفلسفة، فإن الإبستمولوجيا بوصفها مبحثاً مستقلاً موضوعه المعرفة العلمية، لم تنشأ إلا في مطلع القرن العشرين حين اتجهت إلى تحديد الأسس التي يرتكز عليها العلم، والخطوات التي يتألف منها، وإلى نقد العلوم والعودة إلى مبادئها العميقة. وذلك بتأثير التقدم السريع للعلم، والاتجاه نحو التخصص المتزايد، وما ولده ذلك من تغير في بنية منظومة العلوم، ومن صعوبات وإشكالات ذات طبيعة نظرية.

والإبستمولوجيا بوصفها الدراسة النقدية للعلم تختلف عن نظرية المعرفة. ففي حين تتناول نظرية المعرفة عملية تكون المعرفة الإنسانية من حيث طبيعتها وقيمتها وحدودها وعلاقتها بالواقع، وتبرز - بنتيجة هذا التناول - اتجاهات اختبارية وعقلانية ومادية ومثالية، فإن موضوع الإبستمولوجيا ينحصر في دراسة المعرفة العلمية فقط.

وإذا كانت الإجابات التي تقدمها نظرية المعرفة «إطلاقية» وعامة وشاملة، فإن الإبستمولوجيا تدرس المعرفة العلمية في وضع محدد تاريخياً، من دون أن تنزع نحو إجابات مطلقة.

بل ترى الإبستمولوجيا في التعميمات الفلسفية لنظرية المعرفة عائقاً أمام تطور المعرفة العلمية. ذلك أن التصورات الزائفة عن المعرفة تؤثر سلبياً في مجال المعرفة العلمية، وخاصة حين تضع حدوداً للعلم.

فالإبستمولوجيا ليست استمراراً لنظرية المعرفة في الفلسفة بل هي تغير كفي في النظر إلى علاقة الفلسفة بالعلم، وتجاوز للتناقض بين نظرية المعرفة والعلم.

وليس هذا فحسب، بل إن الإيستيمولوجيا أتت على ما كان يعرف بفلسفة العلم التي تولدت من علاقة الفلسفة بالعلم وتناولت جملة موضوعات أهمها علاقة العلم بالمجتمع وتأثيره في تكوّن النظرة الفلسفية إلى الطبيعة والكون.

3م

عنوان المحاضرة

المحاضرة الثالثة

نظرية المعرفة (نشأتها ومبادئها)

عناصر المحاضرة

نشأة نظرية المعرفة

عند الفلاسفة اليونان

عند الفلاسفة الغربيين

عند علماء المسلمين

مبادئ نظرية المعرفة

نشأة نظرية المعرفة

- مبحث نظرية المعرفة كما عرفناه في المحاضرة السابقة، قد طرأت عليه تغيرات وتعديلات أثناء تطور الفلسفة وعبر تاريخها الطويل، فهو ليس وليد عصر معين أو فيلسوف معين، بل هو مفهوم يتطور دائماً.

- فقد أصبحت المعرفة منذ كانت ذات مكانة مركزية في الفلسفة فاقت بها كل جوانب الفلسفة الأخرى.

- ومنذ ذلك التاريخ لم تعد الفلسفة معرفة للعالم، بل تفكير في هذه المعرفة بالعالم أو هي معرفة بالمعرفة.

- ومن هنا وجد التمييز بداية بين طريقة وضع المشكلة لدى فلاسفة اليونان بشكل عام، وبين طريقة وضع المشكلة عند الغربيين في العصر الحديث، وعند العلماء المسلمين.

طريقة فلاسفة اليونان في وضع مشكلة المعرفة

- وكان أول من لمس لب نظرية المعرفة من الفلاسفة اليونان بحق هو بارمنيدس، حيث ظهرت مشكلة المعرفة بمعنى الكلمة عنده، فقد قال بوضوح أن هناك وجوداً يتعدى كل ما تعرفه التجربة العادية وهو يربط بين العقل وذلك الوجود على حين أن اللاوجود يقوم على النظر والسمع وعلى اللغة التي يستعملها عامة الناس.

- ومضى الفلاسفة بعده يُعَبِّر كل منهم عن وجهة نظر تختلف عن الأخرى، فقد عبّر إنبادوقليس عن وجهة نظره في أن الشبيه يدرك الشبيه،

- وعبر ديمقريطس عن وجهة نظر فيها أصالة وعمق وكان لها تأثير كبير حيث ميز بداية بين الموجود وبين ما هو محض فكر وظن، ولا يستطيع أن يدرك جزئيات الوجود وهي لديه الذرات إلا الإدراك الألف وحسب، أمّا الحواس الخمس الخشنة فإنها تقف عن حدود المتنوع إلا ما لا نهاية والنسبي من ألوان وأصوات وروائح وغير ذلك.
- والطبيعيون الأولون والفيثاغوريون كل هؤلاء تركزت عنايتهم في وصف الطبيعة ومحاولة تفسير ظواهرها دون أن يثيروا الشك في الوسائل التي نستخدمها في معرفتنا لها.
- وقد ساهم السوفسطائيون بعد ذلك مساهمة قيمة وهامة في توسيع نطاق مناقشة المشكلة وعلى الأخص: جورجياس وبروتاجوراس، فقد استطاع الأول بكتابه في الوجود أن يتيح لنا النظر نظرة عميقة إلى طريقة وضع مشكلة المعرفة في عصر السوفسطائيين،
- وكذلك أسهم بروتاجوراس خاصة بواحديته الواضحة التي بدأت في عدم اعترافه بأي شيء ليس مصدره الحواس حينما قال: "أن الإنسان معيار الوجود" وقصد بذلك أن الإنسان بحواسه هو معيار معرفة الوجود فهو لم ير إلا الحس وسيلة للمعرفة إلا بوجود المادة.
- ولا شك أنه لولا هؤلاء السوفسطائيين خاصة جورجياس وبروتاجوراس لما كانت مناقشة مشكلة المعرفة قد اتسع نطاقها هذا الاتساع الذي وجدناه لدى سقراط وأفلاطون ومن بعدهما أرسطو.
- فقد كان سقراط برده على حجج السوفسطائيين هو بحق أول من ميّز تمييزاً فاصلاً بين موضوع العقل وموضوع الحس. بيد أن حلّ سقراط لمسألة المعرفة بقي ناقصاً.
- وكان على أفلاطون استكمالها، فقدم فكرته الأصلية البسيطة التي تمثلت في أن هناك إلى جانب كل شيء متغير شيء آخر خالد لا يأتي عليه تبدل وينبغي أن تقوم عليه وحدة المعرفة والسلوك، ومن ثم فلا علم إلا بالكلّي الذي يظل دائماً في ذاته باقياً على ذاتيته، وبذلك ارتبطت نظرية أفلاطون في المعرفة بنظريته في الوجود وفي الأخلاق.
- أدى شغف أرسطو بالمعرفة أن انشغل انشغالا شديداً بالبحث في وسائل المعرفة الإنسانية، ومدى ما يمكن أن نصل إليه من خلال هذه الوسائل، ولما وجد أن غالبية الناس يعتقدون أن حواسهم هي وسيلتهم في المعرفة بدأ بحثه في طبيعة الحواس ووجد أن طبيعتها تؤكد قصورها ومحدوديتها.
- ومن ثم بحث فيما يمكن أن يؤديه العقل ووجد نفسه أنه قادر على أن يحل ما تعطيه الحواس ويبنى منه ما يسمى بالمعرفة الإنسانية فالإنسان هو العقل ويستدل ويقيس أساساً وليس هو فقط ما يستقرئ
- إن الإنسان هو القادر وحده على تنظيم مشاهداته والاستفادة منها من تكوين بناء متكامل للمعرفة عن هذا العالم من خلال قدراته العقلية الفذة.
- ولعل ذلك هو ما جعل أرسطو يركز اهتمامه على دراسة العقل وإمكاناته المعرفية من جانب ومحاولته من جانب آخر وضع القوانين اللازمة لضبط التفكير العقلي حتى لا يبتعد العقل على المجال المعرفي الصحيح
- ومن هذا كان تأسيس أرسطو للمنطق وفصله عن بقية العلوم كما كان بحثه في نظرية المعرفة.
- وأرسطو لم يفصل دراسة المعرفة من حيث هدفها وقيمتها عن كل من الميتافيزيقيا والمنطق لجعلها علماً نظرياً خالصاً فقد ظلت نظرية المعرفة عنده مختلطة بالمنطق وكانت قيمة العلم وطرق تحصيله يشكلان سوياً موضوع دراسة واحدة.

- أما الفلاسفة الغربيون فقد كانت نظرية المعرفة مبثوثة لديهم في أبحاث الوجود إلى أن جاء جون لوك
"17041632" فكتب " مقال في الفهم الانساني Essay Concerning Human
"Understanding" المطبوع عام 1690م ليكون أول محاولة لفهم المعرفة البشرية وتحليل الفكر
الإنساني وعملياته"

- بينما سبقه بصورة غير مستقلة فرانسيس بيكون رائد المدرسة الحسية الواقعية. والذي يقول إن
المعرفة لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق الحواس وما لا يمكن معرفته عن طريق الحواس لا
يعتبر موجودا،

- وإن كان قد سبقهم ديكارت في نظرية فطرية المعرفة. فديكارت رائد المدرسة العقلية المثالية، الذي
يقول بفطرية المعرفة أي أن العقل البشري مفطور على معارف وعلوم أساسية يمكن عن طريقها أن
يتوصل إلى المعارف والعلوم الأخرى وهو صاحب المقولة المشهورة : (أنا أفكر إذن أنا موجود)

- وبعد ذلك جاء كانط (كانت) (1724 - 1804م) فحدّد طبيعة المعرفة وحدودها وعلاقتها بالوجود. ثم
جاءت محاولة فريبر في القرن التاسع عشر ففصل بحث المعرفة عن بحث الوجود .

- ويعتبر فرنسيس بيكون من المفكرين الأوائل الذين عملوا على إعادة النظر في مفهوم الحقيقة
والمعرفة، ولم يعد يتوصل إليها بالحدس، والإلهام، أو بنوع من التجريد العقلي، بل تحولت إلى حقيقة
نسبية تتحقق عبر التاريخ. وهذا التصور الجديد للمعرفة وللحقيقة هو ما أبرزه بيكون من خلال
فلسفته، وعلى الخصوص من خلال تصنيفه لعلوم ومعارف عصره حيث سيقسم هذه العلوم أو
المعارف إلى ثلاثة أنواع حسب ملكات المعرفة المختلفة

- ويميز الفيلسوف برتراند راسل بين نوعين من المعرفة: المعرفة باللقاء أو الاتصال المباشر، أي التي
تُدرَك بالحواس مباشرة، والمعرفة بالوصف، أي التي تنطوي على استنتاجات عقلية .

- ونجد أغست كورن (1798-1857) يؤسس تطور المعرفة على قانون عام، يفترض أن تطور الفكر البشري،
وكذا تطور المعارف عبر الزمن، عرف مراحل ثلاث: - المرحلة اللاهوتية - المرحلة الميتافيزيقية - المرحلة
الوضعية.

- ثم اتخذت نظرية المعرفة وضعها المستقل لتبحث في العلاقة بين الذات العارفة "الإنسان" والموضوع
المدرّوس والنظر في حدود المعرفة البشرية وقيمتها وطبيعتها ومصادرها. فصارت نظرية المعرفة

نظرية المعرفة في التراث الإسلامي

استوقف موضوع المعرفة ونظرية المعرفة علماء المسلمين؛ فلاسفة ومتكلمين، وعقدوا أبوابا وفصولا، بل كتبوا
في العلم والمعرفة:

- فالقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت 415هـ) صنف مجلدا كبيرا، من موسوعته (المغني) سماه (النظر
والمعارف)، تحدث فيه بالتفصيل عن حد النظر والعلم والمعرفة وطرقها وحقيقتها، وطرق معرفة
صحة النظر، ودرجات المعرفة من الشك على الظن على اليقين. وتحدث عن الدليل العقلي والسمعي،
وأول ما يجب على المكلف، وطريق وجوب المعرفة ...

- ثم نجد الباقلاني (ت 403هـ) يقدم لكتابه (التمهيد) بباب العلوم في (العلم وأقسامه وطرقه).

- ثم البغدادي (ت429هـ) في كتابه (أصول الدين) جعل الأصل الأول منه معقودا على بيان الحقائق وإثباتها وطرق تحصيلها وأقسامها.
- والرازي أيضا جعل الركن الأول لكتابه (التحصيل) في العلم والنظر.
- كما أن الإيجي يجعل الموقف الأول في كتابه (المواقف) في العلم والنظر كذلك، يجمع فيه آراء المدارس ويناقشها.
- ونجدها أيضا في مقالات الفرق، ككتاب (مقالات الاسلاميين) للأشعري، و(الفرق بين الفرق) للبغدادي، و(المنقذ من الضلال) و(المستصفي) للغزالي. وكذلك في كتاب (التعريفات) للجرجاني.
- ونجد الكندي (يعقوب بن اسحاق) حاول ضبط العلم والمعرفة في مؤلفاته، ومنها (رسالة في حدود الاشياء ورسومها).
- وأبو نصر الفارابي الذي تحدث عن العلم وحده وتقسيماته في (البرهان) وفي كتب أخرى.
- وابن سينا الذي تناول الإدراك والعلم واليقين في كتابه (الاشارات والتنبيهات) وفي غيرها من كتبه.
- وابن رشد الذي سعى تمييز العلم الحقيقي من غيره في (تهافت التهافت).
- والآمدي في (الإحكام في أصول الأحكام) الذي تحدث فيه عن العلم والكلي والجزئي وغيره من المفاهيم.
- ونجد ابن الحاجب في (مختصر المنتهى الاصولي) يتناول قضايا المعرفة والتصور والتصديق وغيرها.
- والقزويني في (الرسالة الشمسية)، يتناول حد العلم وكيفية حصوله في العقل.
- وهناك عدد كبير من علماء المسلمين من الأصوليين والفقهاء والمتكلمين والفلاسفة وغيرهم ممن تناول موضوعا أو أكثر من موضوعات المعرفة في كتبه.
- الملاحظ من خلال استعراضنا لتاريخ نشأة نظرية المعرفة أنها عند الفلاسفة الأقدمين، كانت مبنوثة متفرقة، في ثنايا أبحاث الوجود والقيم، بل لم يكن يجمعها كتاب واحد أو دراسة منهجية مستقلة، فقد كانت متضمنة مثلا عند أفلاطون في أبحاثه في الجدل، وعند أرسطو في بحث ما وراء الطبيعة، دون أن يميزوا بين موضوع المعرفة وموضوع (الميتافيزيقا)، إلا أنهم بحثوا في أهم جوانب المعرفة.
- ولعل علماءنا المسلمين قد سبقوا غيرهم في أفراد بحث المعرفة بصورة مستقلة في كتبهم، لأهمية هذا الموضوع بالنسبة لهم، وعلاقته بالوجود، بينما لم يبدأ أفرادها عن الفلاسفة الغربيين إلا في القرن السابع عشر، مع جون لوك.

مبادئ نظرية المعرفة

أهم ما تقوم عليه نظرية المعرفة ما يلي:

- إمكان المعرفة: ويبحث في مدى قدرة الإنسان على تحصيل المعرفة. ولعل أول من أثار هذا البحث هم السوفسطائيون والشكاك.
- مصادر المعرفة: الحواس والعقل، وعلاقتها ببعض، وطريق الوحي عند أصحاب الأديان. وطرق أخرى كالإلهام والكشف والحدس.

- طبيعة المعرفة: وتقوم أبحاثها على بيان طبيعة العلاقة بين الذات العارفة والشيء المعروف.
- قيمة المعرفة وحدودها.
- وهناك أبحاث قريبة من نظرية المعرفة، قد يدمجها البعض فيها، وقد يفصلونها عنها. منها: أبحاث علم المنطق، وأبحاث علم النفس المتعلقة بمسائل التخيل والتصوير والتعرف والإدراك وسائر العمليات العقلية

4م

عنوان المحاضرة

المحاضرة الرابعة

مصادر المعرفة

عناصر المحاضرة

مصادر المعرفة

١. المذهب العقلي

٢. المذهب التجريبي

٣. المذهب الحدسي.

٤. المذهب البراغماتي.

٥. موقع الوحي من مصادر المعرفة

يختص هذا المبحث بدراسة الوسيلة أو الأداة أو المصدر الذي تتم عن طريقه تشكيل المعرفة الإنسانية، عبر تحديد مصادر المعرفة (الأدوات المعرفية)، وتحديد الآليات التي تتيحها هذه المصادر للمعارف الكاشفة عن الواقع الموضوعي. وقد اختلف الفلاسفة في ذلك على مذاهب:

- فمنهم من ذهب إلى أن العقل هو المصدر الأول والأساسي للمعرفة (وهؤلاء هم العقليون).
- ومنهم من ذهب إلى أن التجربة الحسية هي المصدر الأول والأساسي للمعرفة (وهؤلاء هم التجريبيون). ومنهم من ذهب على أن الحدس والإلهام هو المصدر الأول والأساسي للمعرفة (وهؤلاء هم الحدسيون). ومنهم من جمع بينها وبين الوحي.

والاختلاف في المصادر الأساسية للوصول إلى المعرفة، لا يعني القول بإلغاء المصادر الأخرى في حال إثبات إحداها، وإنما يعني القول بأن الأولوية في الثبوت هي لهذا المصدر أو ذاك.

أولاً: المذهب العقلي (Rationalism):

تتمثل مصدرية العقل للمعرفة عند العقليين في صورتين:

أ. هي التي يستغني فيها العقل لتحصيل المعرفة عن أي شيء سواه، من خلال استنباط قضايا جديدة من قضايا سابقة معلومة، بقطع النظر عن الوجود الخارجي.

ب. هي التي تفسر مصدرية العقل للمعرفة برد الحكم على الأشياء إلى مبادئ العقل الفطرية، فمادة المعرفة تكون من الإدراكات الحسية، ولكنها لا تكون معرفة علمية إلا بالاحتكام إلى العقل الذي يجعلونه مصدرا لها، وهذه المعرفة تنقسم عندهم إلى معرفة بديهية أو ضرورية تضطر النفس إلى الإذعان لها والتسليم بها دون الحاجة على النظر والاستدلال، وإلى معرفة نظرية تحتاج إلى نظر واستدلال.

وقد اتفق العقليون على أن: العقل قوة فطرية مشتركة بين جميع الناس جميعا، وتصوروا أن مبادئه لا بد أن تكون كلية ومشتركة بين جميع الأذهان، وضرورية صادقة على جميع الأشياء، وأولية سابقة على كل تجربة.

فالقول بأن (الكل أكبر من الجزء) أو (الشيء الواحد لا يمكن أن يكون موجودا وغير موجود في وقت واحد)، أو (الأكبر يحتوي الأصغر) أو (المساويان لثالث متساويان) كأن نقول $(4=2+2)$.

فهذه المبادئ وغيرها مبادئ عقلية تتصف بأنها: معارف قائمة بذاتها، سابقة للتجربة وليست نتيجة لها، تتصف بالضرورة أي لا تحتاج على برهان آخر لإثباتها، ولا تختلف هذه المعارف باختلاف الناس أو بتغير الأزمنة والإمكانة، لذلك فإن هذه المعارف هي معارف أولية قائمة بذاتها.

وهكذا، يقوم موقف العقليين على التسليم بأن للعقل مبادئ جاهزة، أو طرفا فطرية هي التي تقوده إلى معرفة حقائق الأشياء، ومعارفه مستغنية عن أي معرفة سابقة. ولذلك، فإن الصورة المثلى عند العقليين هي تلك التي يمثلها البرهان الرياضي، فمثل هذه لأبراهين تبدأ بالبديهيات أو الحقائق القائمة بذاتها.

- إن العقليين لا يرفضون ما تجيء به الحواس من معارف ومعلومات (غاية ما في الأمر أنها معلومات لا يقطع بيقينها، حيث أن الحواس كثيرا ما تدع، فأحيانا نرى شيئا وهو خلاف ما نراه... وهي معارف تحتل الخطأ).

- فالحس على أساس نظرية العقليين، مصدر فهم للتصورات والأفكار البسيطة، ولكنه ليس السبب الوحيد، بل هناك معارف أولية تثبت في العقل ابتداء، وهي سابقة على الحواس ومستغنية عنها.

- فالمذهب العقلي يوضح أن الحجر الأساس للعلم هو المعلومات العقلية الأولية، وعلى ذلك الأساس يقوم البناء الفوقي للفكر الإنساني، الذي يسمى بالمعلومات الثانوية، أي المعلومات الحسية التجريبية.

- فالعقل يمتلك إزاء كافة ظواهر الوجود ومظاهره أحكاما لا تتعدى ثلاثة أحكام ممكنة، فهو (العقل) إما أن يحكم عليها بانها أكيدة وواجبة، وإما أن يحكم عليها بانها مستحيلة وممتنعة، وإما يحكم عليها بانها ممكنة وجائزة.

- فأصحاب المذهب العقلي يرون أن الحجر الأساس للعلم هو المعلومات العقلية الأولية، أي أن المقياس للتفكير البشري - بصورة عامة - هو المعارف العقلية الضرورية، فهي الركيزة الأساسية التي لا يستغني عنها كل مجال، ويجب أن تقاس صحة كل فكرة وخطئها في ضوءها. ويصبح ميدان المعرفة البشرية أوسع من الحس والتجربة.

من أشهر الفلاسفة العقليين أفلاطون صاحب نظرية الاستنكار، وهي النظرية القائلة بأن الإدراك عملية استنكار للمعلومات السابقة.

وقد سار فلاسفة المذهب العقلي على طريق أفلاطون في اهتمامهم بالرياضيات واستخدامهم المنهج الرياضي، وعلى رأسهم أرسطو صاحب المنهج الاستدلالي في المعرفة.

وفي العصر الحديث جاء ديكارت الذي قال (إن العقل هو اعدل قسمة بين البشر)، وتبنى الشك المنهجي منهجا للمعرفة، وكذلك اسبينوزا الذي واصل طريق ديكارت في استخدام المنهج الرياضي، والوضوح العقلي معيارا للحقيقة.

ثم ليبنيتز الذي يرى أن جميع القضايا الصادقة يمكن معرفتها بواسطة الاستدلال العقلي الخالص، وذهب إلى أن أفكارنا تكون أصلا في أذهاننا.

كما يعتبر كانط صاحب المذهب النقدي من العقلانيين، إذ كان يميز في المعرفة بين ما هو أولي سابق على كل تجربة، ما هو بعدي مكتسب بالتجربة، فالصورة الأولية السابقة على التجربة هي الأساس في اكتساب المعرفة

ثانيا: المذهب التجريبي (Empiricism)

هو مذهب يقول إن الخبرة مصدر المعرفة وليس العقل، والتجربة بهذا المعنى نقبض الفلسفة العقلية التي تقترض أن هناك أفكارا لا يمكن أن تزودنا بها الحواس وينشئها العقل بمعزل عن الخبرة، وتسمى لذلك معرفة فطرية أو قبلية.

وبرزت التجربة على يد جون لوك، وباركلي، وديفيد هيوم، وستيوارت مل. ثم تجسدت في الوضعية المنطقية والظاهرانية.

والتجريبية أو الحسية هي: (الاسم النوعي لكل المذاهب لافلسفية التي تنفي وجود معارف أولية بوضفها مبادئ معرفية).

ويقوم المذهب التجريبي في المعرفة على أساس أن التجربة هي المصدر الأول لجميع المعارف الإنسانية، وأن الحواس وحدها هي أبواب المعرفة، فليس في العقل شيء لم يمر بالحواس أولا، وينكر التجريبيون أن يولد العقل مزودا بأفكار فطرية كما يزعم العقليون.

تبنى المعارف عند التجريبيين على الظواهر الحسية؛ لأنها المقياس الصحيح في بت الحكم. وليس هناك معرفة فطرية أولية سابقة على التجربة، وليس هناك ضرورة عقلية كما يسير عليه المذهب العقلي.

فالتجريبيون لا يعترفون بمعارف عقلية ضرورية سابقة على التجربة، ويعتبرون التجربة الأساس الوحيد للحكم الصحيح، والمقياس العام في كل مجال من المجالات.

يعتمد المذهب التجريبي على الطريقة الاستقرائية في الاستدلال والتفكير، لأنها طريقة الصعود من الجزئيات على الكليات.

وإذا كان العقليون اهتموا بالمعارف الرياضية التي تقوم على العقل، فقد اهتم التجريبيون بالعلوم الطبيعية التي تقوم على التجربة، وأنكروا قدرة العقل على أن يضمن لنا صدق القضايا التركيبية التي توضح لنا طبيعة العالم.

فالمذهب التجريبي يتلخص في أن المعرفة الإنسانية هي معرفة بعديّة، أي تأتي في مرحلة تالية أو متأخرة عن التجربة الحسية، فالعقل يستمد خبراته ومعلوماته من التجربة وحدها.

ومن أشهر الفلاسفة التجريبيين جون لوك الذي حاول في كتابه (مقالة في التفكير الانساني) أن يرجع جميع التصورات والأفكار على الحس. وهو (أول من طبق الاتجاه التجريبي في الفلسفة) الغربية واعلن رفضه لأهم مبادئ الاتجاه العقلي، وإنكاره أن تكون المعرفة الانسانية أولية في العقل، سابقة على التجربة.

وكذلك جورج باركلي الذي كان يرى بان أفكارنا هي ذاتها العالم الخارجي، ولم يعترف إلا بما يظهر لنا من الأشياء من خلال إدراكنا الحسي لها.

ثم ديفيد هيوم الذي اعتبر ان كل المعارف هي ذات أصول حسية، حتى المعارف العقلية هي ذات أصول حسية، وقد أنكر الميتافيزيقا، واعتبر أن وجودها يكون حقيقيا في حال احساسنا بالقضايا المتعلقة بالقضايا المتعلقة بها.

ثالثا: المذهب الحدسي (Intuitionism) :

وهو مذهب من يرى أن للحدس المكان الأول في تكوين المعرفة، ولهذه الحدسية معنيان:

أ. إطلاقها على المذاهب التي تقرر أن المعرفة تستند إلى الحدس العقلي.

ب. إطلاقها على المذاهب التي تقرر أن إدراك وجود الحقائق المادية هو إدراك حدسي مباشر، وليس إدراكا نظريا.

يقول بروور في وصف هذا النوع من الإدراك: (إن الانسان لديه ملكة مستقلة تمكنه من فهم الحقيقة وإدراك الواقع مباشرة، وهذه الملكة ليست حسية ولا عقلية وإنما هي حدسية مباشرة).

والحدس عند ديكرت هو: (الإطلاع العقلي المباشر على الحقائق البديهية).

وعند كانت هو: (الإطلاع المباشر على معنى حاضر بالذهن، من حيث هو حقيقة جزئية مفردة).

والحدس عند هنري بوانكاريه هو: (الحكم السريع المؤكد، أو التنبؤ الغريزي بالوقائع والعلاقات المجردة، وهو الذي يكشف لنا عن العلاقات الخفية).

وتعتبر الأفلاطونية المحدثة المنسوبة إلى أفلوطين رائدة الفكر الحدسي في المعرفة، فالمعرفة عندهم قائمة على الفيض والإشراق، ولا يمكن للإنسان أن يصل على المعرفة الحقة غلا عن طريق مداومة التأمل ورياضة النفس.

وأفضل من يمثل المذهب الحدسي الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون، الذي تأتي فلسفته كرد فعل على النزعة المادية والاتجاه العلمي الذي شاع في أوروبا في القرن 19 ميلادي. حتى أوشك هذا الاتجاه أن يطغى على كل اتجاه روحي ... فالعقل عاجز عن إدراك الموضوع في صيرورته وديمومته، وهو لا يفهم حق الفهم إلا الأمور الجامدة التي تقبل القياس. أما الحدس فيتابع الموضوع في صيرورته، ويكشف عن حقيقته، ويحيط به في كليته.

وحسب برجسون فإن الحدس مشاركة وجدانية تنتقل عن طريقها إلى باطن الموضوع، لكي تندمج مع ما في ذلك الموضوع.

وقد جعل برجسون الحدس هو مصدر المعرفة الحقيقي للواقع. وهو اقرب للكشف الصوفي.

وإذا كان برجسون تبنى الحدس وجعله مصدرا للمعرفة الحقيقية للواقع في الفلسفة الغربية فإن متصوفة المسلمين قد تبنوا الإلهام مصدرا للمعرفة وسبقوا بذلك فلاسفة الغرب في تبنيتهم للحدس.

ذهب برجسون إلى أنه بالإضافة إلى العقل الذي توهم أنصاره أنه يقدم لنا المعرفة برمتها توجد ملكة أخرى للمعرفة؛ وهي من قبيل التجربة الوجدانية، سماها الحدس Intuition يقصد بالحدس عدة معانٍ متباينة :

الحدس الحسي: هو الإدراك المباشر عن طريق الحواس الإنسانية، مثل إدراك الضوء والروائح المختلفة.

الحدس التجريبي: الإدراك المباشر الناشئ عن طريق الممارسة المستمرة، مثل إدراك الطبيب لداء المريض من مجرد المشاهدة .

الحدس العقلي: الإدراك المباشر - دون براهين- للمعاني العقلية المجردة التي لا يمكن إجراء تجارب عملية عليها، مثل إدراك الزمان والمكان .

الحدس التنبؤي: يحدث أحياناً في الاكتشافات العلمية أن تكون نتيجة لمحة تطراً على ذهن العالم بعد -----
--- طول التجارب .

المذهب البراغماتي: (Pragmatism)

تطلق الفلسفة البراغماتية على مجموعة من الفلسفات المتباينة إلى حد ما، والتي تركز جميعها على مبدأ مؤداه أن صحة الفكر تعتمد على ما يؤدي إليه من نتائج عملية ناجحة، وكان الفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرز بيرس" هو أول من استخدم اسم البراغماتية وصاغ هذه الفلسفة. والبراغماتية (الذرائعية) مذهب فلسفي يرى أن معيار صدق الأفكار هو في عواقبها العملية، فالحقيقة تعرف من نجاحها. و يفسر النجاح بصورتين:

1- النجاح بمعنى المنفعة الشخصية ضمن نظام معين، فتكون الكذبة الناجحة حقيقة، وفي ظل هذه الصورة تتخذ الذرائعية مظهر السفسطة.

2- النجاح بمعنى التطبيق العملي والعلمي الذي يتوافق مع قوانين الطبيعة، فنقر بحقيقة قانون أو نظرية إذا حقق تطبيقات عملية، وبهذا المعنى تقترب البراغماتية من العقلانية.

ومن الفلاسفة الذين أذاعوا صيت المذهب البراغماتي الفيلسوف الأمريكي وليم جيمس. يقول جيمس: "الحق يقوم فيما هو مفيد (نافع) للفكر، كما أن العدل يقوم فيما هو نافع للسلوك، وأقصد بمفيد أنه: مفيد بأية طريقة، مفيد في نهاية الأمر في المجموع، لأن ما هو مفيد للتجربة المقصودة الآن لن يكون كذلك بالضرورة وبنفس الدرجة بالنسبة إلى تجارب لاحقة.

موقع الوحي من مصادر المعرفة

دأب دارسو نظرية المعرفة - فلسفياً أو علمياً - على حصر مصادرها في (الحس والعقل) كما دأبوا على استعراض الصراع الفكري والجدلي بينهم في أن المصدر هو الحس فقط أو هو العقل فقط أو هما معاً.

وكان هذا لأنهم استبعدوا الفكر الديني أو المعرفة الدينية من مجال دراساتهم. ولأننا نؤمن بالدين الإلهي تتربع المصادر لدينا كالتالي: (الوحي، والعقل، والحس، والإلهام أو الحدس).

إنّ المعنى الاصطلاحي الذي نقصده ونهدف إليه من الوحي هو ما يلقيه الله إلى أحد أنبيائه ورسله؛ نحو إنزاله القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإنزاله الإنجيل على سيدنا عيسى وإنزاله التوراة على سيدنا موسى وإنزاله الزبور على سيدنا داود عليهم السلام.

وإذا اقتصرنا على ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فإننا نجد أنّ الوحي ينقسم إلى قسمين هما:

١. القرآن الذي أنزل عليه بلفظه ومعناه كما سيأتي.

٢. السنة التي أوحيت إليه من الله بمعناها وإن كان اللفظ من قبله

أولاً: ضرورة الوحي:

وتتجلى ضرورة الوحي مصدرا للمعرفة في ما يلي:

١. أن الوحي ممكن في نظر العقل: لأن العقل ذاته يسلم بأنه محدود بعالم الشهادة وقوانينها، ولا يستطيع إنكار ميدان آخر وطريق آخر للمعرفة، كما ان العقل من خلال قوانينه يحكم بوجود عالم الغيب.
٢. لا كفاية في العقل: لأن العقول قاصرة عن إدراك مختلف جوانب ومجالات الحياة والكون.

ثانيا: الحاجة للوحي:

١. الحاجة إلى الوحي في الاعتقاد.
٢. الحاجة على الوحي في التشريع.
٣. النبوة فيها حجة على الخلق.

5م

عنوان المحاضرة

المحاضرة الخامسة

إمكان المعرفة

عناصر المحاضرة

مقدمة

مذهب الشك

موقف الفكر الإسلامي من الشك المذهبي

مذاهب اليقين

المذهب النسبي

مقدمة:

السؤال عن إمكان المعرفة هو سؤال عن جوهر المعرفة ومضمونها، وهو الحقيقة - أي هل يمكننا أن ندرك الحقيقة؟ وهل المعرفة ممكنة؟ وهل في وسع الإنسان أن يعرف شيئا؟

إن مسألة إمكان المعرفة لم تكن مطروحة في الفكر البشري قديما. وكان أول من بدأ البحث في مسألة إمكان المعرفة هم الفلاسفة اليونان، وتحديدًا الذين عرفوا بالسفسطائيين أو الشكاك. وهؤلاء الفلاسفة (كانوا ينكرون قطعية المعارف الانسانية، وقد تطور الشك إلى أن أصبح مذهبًا من المذاهب، وقد بلغ أشده على يد بيرون، صاحب المذهب لاشكي عند اليونان، حتى أنه لقب بإمام الشكاكين).

أما فلاسفة المسلمين ومتكلموهم، فقد (بحثوا في إمكانية المعرفة، وقد جعلوا مداخل كتبهم في العلم، وفي إثبات العلم والحقائق. وكان مسألة الإمكان أصبحت ضرورة تسبق بقية أبحاث المعرفة، ذلك لأنه -في نظرهم- لا بد من التسليم بإمكان المعرفة حتى يتسنى البحث في بقية مسائلها، إذ أن من ينكر

إمكان المعرفة لا يستطيع أن يتحدث عن طبيعتها ومصادرها، وإن الذي يتيقن من إمكان المعرفة يحق له أن يبحث في كافة موضوعاتها).

إن خير ما يدل على نظرة إمكان المعرفة و يقينيتها دعوتهم إلى عدم مناظرة السوفسطائيين ومجادلتهم، لأن من لا يعلم مدى إمكانية صحة كلامه في المناظرة، فكيف سيتم حوارهم. يقول الإيجي: (المناظرة معهم قد منعها المحققون؛ لأنها إفادة المعلوم بالمجهول، والخصم لا يعترف بمعلوم حتى تثبت به مجهولاً).

ويمكن تحديد ثلاثة اتجاهات أساسية عند الحديث عن مسألة إمكان المعرفة:

1. فريق شك شكاً مطلقاً في إمكان المعرفة.
2. فريق يرى يقينية المعرفة، وهم الاعتقاديون أو الدغمائيون.
3. فريق ثالث يرى أنه بإمكان الإنسان أن يصل على معرفة متناسبة مع قدراته الحسية والعقلية، وهم النسبيون.

مذهب الشك في إمكان المعرفة (Skepticism):

1. الشك المطلق:

بالرغم من أن الشك في أصله هو التردد في إصدار حكم بغرض الإمعان والتفحص، وهو ما يطابق معنى اللفظ اليوناني. إلا أن الشك القديم لم يكن يحمل هذا المعنى كما أنه اتخذ معنى جديداً في وقت لاحق.

فالصراع والتضارب بين المتناقضات الفلسفية في الفكر اليوناني كان سبباً لبلبلة فكرية وارتباب جذري، انتهت بهم على إنكار جميع الركائز الفكرية للإنسان، وإنكار المحسوسات والبيدهيات.

وأول من ظهر على يديه هذا المذهب هو بيرون أو فيرون (Pyrrhon). وقد وضع جورجياس (380 ق.م) كتاباً تحدث فيه عن عدم إمكان المعرفة، وعدم الوثوق بالعقل والحواس.

ثم جاء السوفسطائون وأنكروا وجود مقياس ثابت للحقائق، ورأوا امتناع وجود حقيقة مطلقة، وشكوا في كل شيء. وتحولت السفسة على عبث بالفكر والعلم. وكانت هذه الطائفة تؤمن بالبحث والجدل، وأحياناً يصل بهم الجدل على إنكار أنفسهم أيضاً.

فعاشوا تناقضاً بين وجودهم وتصوراتهم، ففي الوقت الذي ينكرون فيه كل حقيقة، تجددهم يلبون حاجاتهم البيولوجية دون أن ينكروا ذلك.

وهذه المدرسة تنكر إمكان معرفة طبيعة الأشياء، وترى أن المعرفة الحسية والعقلية ليس لها قدرة تعريفنا بالحقيقة وإيصالنا إليها، فنحن لا ندرك من الأشياء إلا ما (يبدو) لنا. وكأن الأشياء خارج الذات المدركة محض مظهر، أما إدراك طبيعة ذوات الأشياء فلا سبيل إليه.

ذلك لأن المعرفة - في رأي هذه المدرسة - تتأسس على الإدراك الحسي، والحواس خادعة لا تقود إلى معرفة يقينية؛ وحتى النظر العقلي - عند الفيرونيين - يتأسس على الحس فمعرفة حسية غير مباشرة ومن ثم يكون أولى أن ينطبق عليه ما ينطبق على الحس من حيث عدم يقينية المعرفة.

ولذلك كان شكهم شكاً مذهبياً (مطلقاً)، بمعنى أنه يقوم على أساس أن الشك غاية في ذاته.

2. الشك المنهجي:

(الذي لا يعتبر الشك غاية في ذاته، بل يعتبر الشك وسيلة ليتوصل من خلاله إلى غاية أخرى وهي بلوغ اليقين). ويرجع هذا الشك في جذوره التاريخية إلى الفيلسوف اليوناني سقراط. كما استخدم أرسطو ومدرسته المشائية الشك استخداماً منهجياً تأثراً بسقراط. إذ رأى أن اليقين المنطقي يجب أن يقوم على الشك كمنهج في فحص الأفكار والتأكد من قابليتها للتعميم.

وعرف الشك المنهجي في حقل المعرفة الإسلامية عند المعتزلة، إذ كانوا يشترطون الشك كمقدمة ضرورية لصحة النظر المؤدي إلى العلم، إذ لا يصح النظر عندهم إلا مع الشك.

أما أبو حامد الغزالي فقد سلك طريق الشك بحثاً عن اليقين، وقد قرر في كتابه (المنقذ من الضلال) أن من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى.

وكان ديكرات من أكثر الفلاسفة تأكيداً على ضرورة الشك كمنهج في التفكير، وهو إلى جانب الغزالي يعتبران واضعي أسس الشك المنهجي، وكان هذا الشك هو التمهيد الضروري للمنهج.

ويعتبر الفيلسوف التجريبي ديفد هيوم من فلاسفة الشك المنهجي، الذي سماه بالشك العلمي.

خلافاً لأصحاب الشك المطلق الذين يقعون في الحيرة فيمتنعون عن إصدار الأحكام، فإن أصحاب الشك المنهجي قد اتخذوا من الشك سبيلاً إلى اليقين، وهو عملية اختيارية هدفها إفراغ العقل مما فيه من معلومات سابقة قد تكون عرضة للمغالطة وعدم التأكيد، وذلك لتهيئة العقل لدراسة الأمور دراسة موضوعية غير متأثرة بالمفاهيم الشائعة والأخطاء المألوفة.

القيمة العلمية للشك المنهجي:

بعد أن تلاشى الشك بوصفه نظرية في المعرفة توطدت أركان الشك بوصفه منهجاً للبحث والتدقيق في المعرفة، وتمدد بأدواته من الشك المعرفي (الشك الإبستمولوجي)، بوصفه موضوعاً فلسفياً إلى شك منهجي يحفز الإنسان للبحث، والنظر، والتدقيق؛ ليشمل العلوم النظرية والتجريبية كافة، سواء تلك التي تولدت عن الفلسفة، واستقلت عنها، أو تلك التي نشأت مستقلة بذاتها.

مجالات الشك:

بمدارسة نوعي الشك (مطلق - منهجي) تبين لنا أن الشك المطلق هو شك في أصل المعرفة وإمكانيتها لذا يُسمى (بالمعرفي) لإنكاره إمكان المعرفة أو (الفلسفي والمذهبي) لكونه مذهباً فلسفياً يعتقد صاحبه بانتفاء موضوع المعرفة، واستحالة إدراكها، وفي مقابله نشأ الشك المنهجي بوصفه منهجاً للبحث عن الحقيقة لذا سُمي أيضاً (بالعلمي) وهو لا ينتقص من يقينية أصحابه بوجود حقيقة يمكن معرفتها، ومن هذه العلاقة الجدلية بين الإطلاق والنسبية يثور التساؤل حول المجالات التي يمكن أن يتطرق إليها الشك، بل التي طرقها بالفعل.

ومجالات الشك تختلف في دائرة الشك المطلق عنها في دائرة الشك النسبي (المنهجي).

مجالات الشك المطلق:

أ- الشك في الحقيقة التي هي موضوع المعرفة، وهو شك في وجودها.

ب- الشك في إمكان معرفة الحقيقة (إن وجدت).

ج- الشك في إمكان إبلاغ المعرفة أو تداولها.

مجالات الشك النسبي:

بعد التسليم بوجود حقيقة وإمكان إدراكنا لها، يظل الباب مفتوحاً لألوان من الشك النسبي أو الجزئي ومن ذلك:

(أ) **الشك في طبيعة المعرفة:** ومصدره تباين المذاهب في تكييف طبيعة المعرفة مما يوقف الفلاسفة موقف الشك تجاه هذا التباين.

(ب) **الشك في مصادر المعرفة:** فإنكار كل مذهب ومدرسة فلسفية لمصدر أو أكثر من مصادر المعرفة هو شك في جدوى هذا المصدر، ومدى يقينية المعرفة المتأسسة عليه، فمن أصحاب المذاهب من يصب شكه على الحواس، ومنهم من يشك في العقل، ومنهم من يشك فيما سوى الحدس والإشراق، وكل ذلك من صور الشك.

(ج) **الشك طريق إلى اليقين:** وهو شك في المعلومات والآراء المسبقة، وهدفه إفراغ العقل توطئة لإعمارها بحقائق يقينية تتأسس على بديهيات أولية، وهذا هو الشك الذي عاشه الغزالي. وحالة إفراغ الذهن أيضاً مرّ بها ديكرت حتى استقر على نقطة من اليقين في حقيقة تفكيره التي أسس عليها حقيقة وجوده (أنا أفكر إذن أنا موجود).

(د) **تأسيس العقيدة بين الفطرة والشك والنظر:**

وهدف هذا الشك ومجاله ليس المعرفة النظرية، وإنما تأسيس إيمان يقيني بالله. فالإمام الجويني يرى أن أول واجب على المكلف هو النظر - وهو رأي المعتزلة - بينما يرى الإمام الإيجي أن المعرفة تتقدم وطريقها النظر ومن ثم يكون واجباً، ولكن الإيجي لا يرى النظر هو السبيل الوحيد إلى المعرفة فقد تحصل بالإلهام، والتصفية، والتعليم، ولكنه قد يكون السبيل الوحيد لمن وقع في الشك، والشك على العموم حالة طارئة لا يلزم سببه لكل نظر أو معرفة.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فيرى أن للفطرة أثراً أساسياً في معرفة الله، ثم من حصل له الشك ولم يكن من سبيل لدفعه سوى النظر؛ يلزمه النظر - فهو يوافق رأي الإيجي - كما يرى الشك أمراً عارضاً علاجه النظر - وفي ذلك يوافق القاضي عبد الجبار - مع تحذيره من عواقب إتاحة النظر للعامة لصعوبة طرقه، وما قد يثيره في نفوس جمهور الخلق.

فالشك إذن تتعدد صورته ومجالاته من كلي إلى جزئي، ومن مطلق إلى نسبي، فيصل في قمته إلى درجة إنكار الحقائق الموضوعية، وفي أدنى منازل له يكون شكاً في وسيلة من وسائل تحصيل المعرفة أو أداة من أدواتها، ويتلون اسمه بحسب نوعه ومجاله فالمتعلق بأسس الاستنباط يكون منطقياً، وربما كان جزئياً متعلقاً بالأسس المعرفية كالتجريبي، وغير ذلك من الأنواع.

موقف الفكر الإسلامي من الشك المطلق (المذهبي):

الشك المطلق هو الشك المبني على إنكار المعرفة اليقينية، ونفي الحقائق، والقول بتكافؤ الأدلة، ومن ثم تعليق إصدار الأحكام. وهذه الصورة من الشك وصلت إلى مفكري الإسلام إثر حركة الترجمة مثلما وصلت إليهم ردود سقراط، وأفلاطون، وأرسطو على هؤلاء الشكاك والمغالطين، وفي إطار التفاعل مع تراجم الفلسفة اليونانية:

1- علاقة الشك المطلق بإمكان المعرفة: الحديث عن موقف الفكر الإسلامي من الشك المطلق، هو حديث عن الموقف من إمكان المعرفة - بالضرورة - لطبيعة العلاقة بين الشك المطلق وإمكان المعرفة، أو لكونهما على النقيض فإثبات أحدهما نفي للآخر.

الوجود وإمكان معرفته (التصور الإسلامي للموجودات): إذا كان الشكاك الأوائل قد وصل بهم أمر الشك المعرفي إلى حد إنكار الوجود نفسه والأشياء وإمكان إدراك طبيعة ذوات الأشياء، فإن الفكر الإسلامي يقف موقفاً مغايراً لهذا التصور، إذ يقرر استناداً إلى القرآن وجوداً مستقلاً للأشياء خارج

نطاق الذات المدركة إذ يقول تعالى: (قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) [النحل: 8].

فهذا الخلق الرباني موجود من حولنا أحاط به إدراكنا أو لم يحط، أما التقسيم اليوناني للأشياء إلى: فيزيقية (طبيعية). و ميتافيزيقية (ما وراثية أو ما وراء الطبيعة).

فلا يبعد كثيراً عن التصور الإسلامي مع خصوصية المعاني والمفردات حيث تنقسم الأشياء إلى: 1- عالم الشهادة: ويشبه مفهوم عالم الطبيعة الخاضع لإدراك الإنسان بالحس والتجربة، والشهادة هي الخبر القاطع.

2- عالم الغيب: ويشبه مفهوم العالم الماورائي، وهو ما غاب عن الإنسان، ولم يدركه بحسه، وإنما بإخبار من الله ورسوله.

ولفظا الغيب والشهادة - مع تقابل المعنى وردا تجاوراً في كتاب الله في عشرة مواضع، وجميعها وردت في بيان اختصاص الله تعالى بالعلم المطلق (غيب وشهادة). والمعرفة الكلية لا يتاح لبشر من خلقه أن يحيط بها على وجه الشمول واليقين.

2- الأساس القرآني لإمكان المعرفة:

القرآن يحمل الشواهد التي تؤكد على إمكان المعرفة وإدراك الحقائق على وجه اليقين، بمصادر وأدوات، ونقف هنا على شواهد من الآيات التي حملت ألفاظاً ذات دلالات معرفية في سياقها المصطلحي ممثلين بأية واحدة لكل لفظ من ألفاظ (المعرفة) و (العلم) و (الحكمة) و (اليقين)، ومن ذلك قوله تعالى: (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا أننا فاكنتنا مع الشاهدين)[المائدة: 83]، (وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً) [النجم: 28]. ذلك مما ورد في شأن المعرفة والعلم، وفي شأن الحكمة قال تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) [البقرة: 269]. والحكمة قد فسرها المفسرون (بإصابة الحق والعمل به).

وفي شأن اليقين وتنقضه مع الظن يقول تعالى: (وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين) [الجاثية: 32].

كذلك أبان القرآن العلاقة بين الشك واليقين، والعلم والظن في مقابلة بليغة حوتها آية واحدة في قوله تعالى: (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيمًا) [النساء: 157].

وإذا استصحبنا تداخل المعاني بين ألفاظ المعرفة، والحكمة، والعلم في النصوص الشرعية، والفكر الإسلامي عموماً، علمنا أن القرآن يحض على طلب العلم الراسخ والمعرفة اليقينية، ويدعو إلى نبذ الظنون، والشك، والتوهم ما أمكن ذلك، والنصوص الحاضرة على العلم، والتفكير، والتأمل كثيرة في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، ومن أدوات المعرفة التي أشادت بها النصوص (الاجتهاد في الرأي) و(الاستنباط) المبني على أسس النصوص وأصولها، والصادر ممن هو أهل لذلك، فقد قال تعالى ناسباً إلى الأئمة المجتهدين القدرة على معرفة مراده.

مذاهب التيقن (Dogmatism)

بذل الفلاسفة والباحثون منذ القدم محاولات عديدة لنقض مذهب الشك، وقد صوروا ادعاء الشك باستحالة المعرفة ادعاءً باطلاً.

وقد تمكن دعاة اليقين والجزم من القضاء على الشك من حيث هو نظرية في المعرفة، ولكن الشك المنهجي بقي عند الكثيرين منهجا مقبولا في التفكير، وبقيت له قيته في البحث من حيث هو منهج وليس مذهباً.

ويسمى التيقن أيضاً بالاعتقادي، أو اليقيني، أو القطعي، أو النزعة التوكيدية، أو الإيقانية، أو القطعية لاختلاف في الترجمة، وقد يُعَرَّبُ اللفظ عوضاً عن ترجمته؛ فيقال (دوجماتي) أو (النزعة الدوجماتيقية).

الاعتقاديون في المصطلح المعاصر هم أنصار المذهبين العقلي والتجريبي تحديداً. وتطورت صفتهم الفلسفية من خصوم للشك في العصور القديمة، إلى خصوم للنقديين في العصور الحديثة، كما انقسموا إلى عقليين يعدون العقل مصدراً وحيداً للمعرفة لا مجال معه للخبرة أو الحواس، أو تجريبيين يعدون التجربة الحسية مصدراً وحيداً للمعرفة.

أ. اليقينية (الدوغمائية) العقلانية: يذهب العقليون إلى إمكانية وصول العقل على معارف أولية قائمة بذاتها، لا يعترها خطأ والنسبية، كالمعارف الرياضية التي تثبت بداهة. وهذا العقل قادر على إدراك الحقائق الموضوعية دون الحاجة على مساعدة الحواس التي من شأنها أن توقع الإنسان في احتمالات الخطأ أو النسبية في الحكم. فالعقلون يؤمنون بالمعارف العقلية في الدرجة الأولى، أما المعارف الحسية فإنهم لا ينكرونها؛ وإنما لا يثقون بجودها في قيام العلم.

ب. اليقينية (الدوغمائية) التجريبية: هي النوع الثاني من النظريات اليقينية، وهي تعبر عن مواقف التجريبيين الذين اكدوا إمكان المعرفة عن طريق التجربة، وتصوروا أن افكارنا كلها من صنع العالم الخارجي. ويعتبر جون لوك من القائلين بإمكان المعرفة من التجربة الحسية والخبرة.

المذهب النسبي (النقدي):

يتفق النسبيون مع القائلين بإمكان المعرفة ووجود الحقيقة. ولكن هذه الحقيقة أو المعرفة الإنسانية لا تعدو ان تكون معرفة نسبية، بمعنى أنها ليست خالصة من الشوائب الذاتية وليست مطلقة، إنما هي مزيج من الناحية الموضوعية للشيء والناحية الذاتية للكر المدرك، فلا تنفصل الحقيقة الموضوعية في التفكير عن الناحية الذاتية.

إن نسبية المعرفة كما يراها أصحاب هذا المذهب، تعني أننا لا نستطيع أن نعرف كل شيء، فإذا عرفنا بعض الأشياء لن نستطيع أن نحيط بها إحاطة تامة، وما من فكرة في العقل إلا وكان إدراكها تابعاً لمعارضتها بفكرة سابقة مختلفة عنها او شبيهة بها؛ لذلك كان من المحال إدراك المطلق لأنه لا يتصور وجود شيء خارجه حتى يعارض به.

ويعتبر كانط رائداً لهذا المذهب، وهو يعتمد على فكرة التأليف بين العقل والأشياء، أو بين الذات والموضوع. والمعرفة اليقينية عن العالم الخارجي ممكنة عند كانط، بشرط أن لا تتجاوز حدود ظوتها الأشياء كما تتلقاها الحواس. ويعتبر انشتاين من أشهر دعاة المذهب النسبي في إمكان المعرفة.

طبيعة المعرفة

عناصر المحاضرة

مقدمة

المذهب المثالي

المذهب الواقعي

المذهب العملي

وقف نقدية

سؤال طبيعة المعرفة

شغل السؤال عن طبيعة المعرفة الإنسانية وحقيقتها العديد من الفلاسفة والباحثين، وحاولوا الإجابة عنه بطرق مختلفة، وذلك لبيان كيفية العلم بالأشياء، أي كيفية اتصال القوى المدركة لدى الإنسان بموضوعات الإدراك، وعلاقة كل منهما بالآخر.

فهل المعرفة في النهاية ذات طبيعة مثالية يرتبط فيها وجود المعرفة بوجود العارف؟

أم أنها ذات طبيعة واقعية تستقل فيها المعرفة عن العارف؟

أم أنها ذات طبيعة عملية ترتبط بمدى الانتفاع منها؟

وهنا انقسم الفلاسفة والباحثون في مسألة طبيعة المعرفة إلى ثلاثة أقسام، هي:

المذهب المثالي،

والمذهب الواقعي،

والمذهب العملي (البراغماتي).

المذهب المثالي (Idealism)

ترجع أصول المثالية على أفلاطون، الذي (اعتقد بوجود عالمين: العالم الحقيقي الذي توجد فيه الافكار الحقيقية المستقلة والثابتة، والعالم الواقعي الذي هو ظل للعالم الحقيقي).

ويتفق المثاليون في تصورهم لطبيعة المعرفة، وفي اتجاههم العام نحو النظر إلى الأشياء الطبيعية باعتبارها غير مستقلة بنفسها، ولا تقوم بذاتها، وإنما تعتمد في وجودها على العقل أو الذهن. ولذلك، فإن الحقيقة النهائية، تكون في نظرهم ذات طبيعة عقلية أو ذهنية.

وانطلاقاً من نظرتهم الازدواجية للعالم، فإن المثاليين ينظرون نظرة ازدواجية للإنسان أيضاً، أي أنه مكون من عقل ومادة.

وبما أن الإنسان جوهره العقل، وأن الحواس مشكوك في صحتها ودقتها، وأن الأشياء لا معنى لها من غير العقل البشري، إذا فإدراك الإنسان أساسه العقل مستقلاً عن التجارب الحسية.

وكلما كانت المعرفة مجردة عن الإدراكات الحسية كلما سمت وارتقت وكانت أكثر ثباتاً وبقيناً.

ويقوم المذهب المثالي في المعرفة على أساس أننا (إذا أردنا أن نعرف الواقع أكثر، ونفهم طبيعته ونتبصر حقيقته بشكل أعمق؛ فلن يكون ذلك بالبحث في العلوم الطبيعية بما فيها من اهتمام بالمادة والحركة والقوة، وإنما يكون بالاتجاه نحو الفكر والعقل، والالتزام بالقوى المثالية والقيم الروحية لدى الانسان).

وقد ظهر المذهب المثالي في صور شتى، من أهمها: المثالية التقليدية (المفارقة)، والمثالية الذاتية، والمثالية النقدية، والمثالية الموضوعية (المطلقة).

1. **المثالية التقليدية (المفارقة):** مرتبطة بأفلاطون، وتعني: ان هناك وجودا مثاليا للأشياء، وأن وجود هذه المثل هو وجود مفارق للأشياء الواقعية. وأن الطبيعة الحقة للشيء لا توجد في الظواهر التي تقدمها الحواس، بل توجد في المثل، وبذلك لا يمكن معرفتها إلا عن طريق العقل وحده.

ويميز أفلاطون بين نوعين من المعرفة، المعرفة الظنية: وهي المعرفة بعالم الأشياء المادية التي تأتي إلينا عن طريق الحواس، وتتصف بالتغير وتتعلق بالمظهر، والمعرفة اليقينية: وهي المعرفة بعالم المثل المفارق للمادة، وتأتي إلينا عن طريق العقل، وتتميز بالثبات وترتبط بالحقيقة.

2. **المثالية الذاتية:** جاءت في العصور الحديثة، وبالتحديد في أواخر القرن 17 م، على يد (باركلي) الذي يلخص نظريته لطبيعة المعرفة في عبارته المشهورة: (أن يوجد هو: يعني أن يُدرك أو أن يُدرك). إذ يرى أن وجود الشيء هو إدراكه، وأن الشيء ليس له وجود مادي مستقل عن إدراكنا له، وأنكر وجود العالم المادي مستقلا عن الإدراك.

والحقيقة أن هذه النظرية تلغي المعرفة الإنسانية من ناحية موضوعية بشكل تام، لأنها لا تعترف بموضوعية الفكر والإدراك، ووجود الشيء خارج حدودها.

3. **المثالية النقدية:** ارتبطت تسميتها في العصر الحديث بعمانويل كانط. والمثالية النقدية نوع

خاص من المثالية ترى ضرورة البدء بفحص العقل، ومعرفة حدوده، ومعرفة قدراته قبل الوثوق به والاعتماد عليه واستخدامه في تحصيل المعرفة. ويرى كانط أن (التصورات العقلية تكون فارغة إذا لم ترتبط بالادراكات الحسية، وأن الادراكات الحسية تكون عمياء إذا لم تعتمد على التصورات العقلية. وإذا كانت عملية الإدراك لا تتم إلا بالترابط بين الصور العقلية والمدركات الحسية، فمعنى هذا أننا لا نستطيع أن نعرف إلا ظواهر الأشياء، أما الأشياء ذاتها فلا سبيل لنا لمعرفةاها، لأن الحواس لا تقدم لنا غلا ما يظهر من الأشياء، والعقل لا يستطيع أن ينفذ من وراء الظواهر ليكشف الواقع الحقيقي.

4. **المثالية الموضوعية (المطلقة):** ترتبط بالفيلسوف هيغل، الذي أكد ان استخدامنا لنظام المنطق بصورة دقيقة هو الذي سيوصلنا على الفكرة المطلقة. والمثالية المطلقة هي الاتجاه الفلسفي المثالي الذي يذهب إلى أولوية الروح على المادة، ويرى أن المصدر الأول للوجود ليس هو العقل الإنساني الشخصي، وإنما هو العقل الكلي أو الروح المطلقة.

وهكذا يتفق هيغل مع المثاليين جميعاً في نظرتهم إلى طبيعة المعرفة باعتبارها في النهاية معرفة عقلية أو روحية، وفي نظرتهم إلى الواقع باعتباره في النهاية تجسيدا للعقل أو الروح.

ومن ثم فلا سبيل على فهمه إلا من خلال العقل، المصدر الوحيد للوجود والمعرفة معاً.

المذهب الواقعي (Realism)

تقوم فكرة المذهب الواقعي على أن مصدر كل الحقائق هو هذا العالم الذي نعيش فيه (عالم الواقع)، أي عالم التجربة والخبرة اليومية، ويعتبر أرسطو ابا للواقعية.

ويعود الأصل في تسمية المذهب بالواقعي إلى الأساس الذي قام عليه هذا المذهب، وهو الاعتقاد في المادة. فالحقيقة موجودة في هذا العالم (عالم الأشياء الفيزيائية) ووجودها حقيقي واقعي يقوم على ثلاثة أسس رئيسية، وهي:

١. أن هناك عالم له وجود لم يصنعه أو يخلقه الإنسان، ولم يسبقه وجود وأفكار مسبقة
٢. أن هذا العالم الحقيقي يمكن معرفته بالعقل الحقيقي، سواء بالعقل الإنساني أو الحدس أو التجربة.
٣. أن هذه المعرفة يمكن أن ترشد وتوجه السلوك الفردي والاجتماعي الضروري للإنسان.

ويرى المذهب الواقعي أن (ماهية المعرفة ليست من جنس الفكر أو الذات العارفة، بل هي من جنس الوجود الخارجي، إذ أن للأعيان الخارجية وجوداً واقعياً مستقلاً عن أي عقل يدركها، وأن العقل إنما يدركها على ما هي عليه بقدر طاقته).

المذهب العملي (Practicalism)

إن المعرفة على مذهب المثاليين أو الواقعيين لا تؤدي بك على عمل تعلمه، أي لا تتضمن سلوكاً معيناً يقوم به الشخص العارف، ومن هنا كان الفلاسفة يفرقون بين الفكر والعمل، فيقولون: إن رجل الفكر قد لا يكون رجلاً عملياً، ورجل العمل قد لا يكون صاحب فكر، إيماناً منهم بأن المعرفة شيء لا يستدعي بالضرورة سلوكاً معيناً في الحياة العملية.

أما المذهب العملي أو البراغماتي فقد (غير النظرة على طبيعة المعرفة، حيث جعل المعرفة أداة للسلوك العملي، أي أن الفكرة من أفكارنا هي بمثابة خطة يمكن الاضطلاع بها للقيام بعمل معين، والفكرة التي لا تؤدي إلى عمل يمكن أدائه ليست فكرة، بل ليست شيئاً على الإطلاق، غلا أن تكون وهماً في رأس صاحبها).

والمذهب البراغماتي يمثل إحدى المدارس الفلسفية والفكرية التي نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية بداية القرن 19م، وتتميز البراغماتية بالإصرار على النتائج والمنفعة والعملية كمكونات أساسية للحقيقة. ويعتبر (تشارلز بيرس: 1839-1914) أول من أدخل لفظة براغماتية للفلسفة. وذهب وليام جيمس إلى أن المعرفة العملية هي المقياس لصحة

الأشياء، وأن البراغماتية تعني إمكانية البحث المتاحة ضد الوثوقية التعسفية واليقينية الجازمة وادعاء النهائية في الحقيقة.

أما جون ديوي، وهو المنظر الحقيقي للبراغماتية فيرى أن العقل أو التجربة الحسية ليسا أداة للمعرفة، وإنما هما أداة لتطور الحياة وتنميتها، فليس من وظيفة العقل أن يعرف، وإنما تكمن وظيفته في خدمة الحياة، وتكمن آثار المعرفة في مدى إمكانية تطبيقها وتوظيفها عملياً.

وقف نقدية

- نلاحظ أن المذاهب الثلاثة السابقة ركزت على جانب وأهملت جانباً آخر أو جوانب أخرى تتعلق بطبيعة المعرفة، لأنها نظرت بطريقة تجزئية للإنسان (العارف) ولموضوع المعرفة، فبعضها اعتد بالعقل وأهمل الواقع، والبعض تشبث بالواقع وجعل العقل لا دور له إلا التصديق على الواقع، والبعض جعل المعرفة الحققة ما كنت تحقق منافع مجسدة، ولا عبرة بصحة المعرفة في ذاتها أو مطابقتها للواقع أو يقينيتها العقلية أولاً.
- ولو تأملنا القرآن الكريم لوجدناه يقرر أن للأشياء وجوداً واقعياً مستقلاً عما في ذهن البشري، أدركه الإنسان أم عجز عن إدراكه، وعدم إدراك الإنسان لبعض الأشياء لا يقتضي عدمها.

- أي أنه ليس كل موجود يمكن معرفته، فهناك من الموجودات ما لا سبيل لوسائل المعرفة الإنسانية إلى معرفتها ومن هنا كانت تبعية نظرية المعرفة لنظرية الوجود في القرآن، فما هو موجود لا يتعلق وجوده بمعرفة الإنسان له أو عدمها، فالموجودات أكبر من أن يلم بها أو يحصيها أو يدركها العقل البشري. (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً).

ولها فإن طبيعة المعرفة عندما نتأمل القرآن نجد أن المعارف ثلاثة أنواع:

1- هناك ما هو فطري: وهو العلم الضروري الذي خلقه الله تعالى مركزاً في فطرة الإنسان ومنه العلم بالبهيات العقلية وبالله وبالأسماء يقوا تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 31 البقرة.

2- علم النبوة: وهو العلم الرباني الذي وصل إلى الإنسان من طريق الوحي: {كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

3- المعارف الاكتسابية: وهي المعارف التي يكتسبها الإنسان من الوحي أو الكون أو كليهما بالحس والتجربة والعقل والحس، {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} 78 النحل.

- ثم أن طبيعة المعرفة تقتضي ميداناً لدراستها وهذا الميدان- وبحسب نصوص القرآن الكريم - اما أن يكون في عالم الغيب واما أن يكون في عالم الشهادة، وطبيعي أن البحث في عالم الغيب محدود، إذ أعفى الإنسان من الدخول في تفاصيله بحسبان ذلك خارجاً عن نطاق طرائق المعرفة لديه من حس وعقل على وجه التحديد، ويبقى أمامه مصدر الوحي وطريقته ما دام واثقاً من أحقيته في ذلك أما عالم الشهادة فهو الميدان الحقيقي للبحث

7م

المحاضرة السابعة

مناهج المعرفة

(المنطق الصوري والمنطق الرمزي)

عناصر المحاضرة

مقدمة: مفهوم المنهج

المنطق الصوري:

تعريف المنطق

قوانين الفكر الثلاثة

مباحث المنطق الصوري

المنطق الرمزي:

تعريف المنطق الرمزي

خصائص المنطق الرمزي

أهمية المنطق الرمزي

مقدمة: مفهوم المنهج

تعريف المنهج: المنهج Method يقال: منهج - بفتح الميم، ومنهج - بكسر ها. ويقال أيضا: منهج - بكسر الميم، والألف بعد الهاء. وهو في اللغة العربية: الطريق الواضح. وأضاف إليه المعجم اللغوي العربي الحديث معنى آخر، هو: (الخطة المرسومة)، ولعله أفاد هذا من التعريف العلمي له أو من الترجمة العربية لكلمة Method الإنجليزية بسبب اشتهاها في الحوار العلمي العربي، وهي تعني، الطريقة، والمنهج، والنظام.

وعرف المنهج علميا بأكثر من تعريف، منها:

١ - المنهج: هو خطوات منظمة يتخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر ويتتبعها للوصول إلى نتيجة).

٢ - والمنهج: (وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة).

٣ - والمنهج: (طائفة من القواعد العامة المصوغة من أجل الوصول إلى الحقيقة في العلم).

٤ - البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى الحقيقة.

٥ - الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم.

٦ - المنهج: (فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة لدينا، أو من أجل البرهنة على حقيقة لا يعرفها الآخرون).

٧ - وعرفه النشار في كتابه (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام) بـ(طريق البحث عن الحقيقة في أي علم من العلوم أو في أي نطاق من نطاقات المعرفة الإنسانية).

٨ - والمنهج: (الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيم على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة).

ونخلص من هذه التعريفات إلى أن: المنهج: مجموعة من القواعد العامة يعتمدها الباحث في تنظيم ما لديه من أفكار أو معلومات من أجل أن توصله إلى النتيجة المطلوبة.

وباختصار: المنهج: طريقة البحث.

أقسام المنهج:

يقسم المنهج إلى أقسام عديدة، ومن بينها: المنهج النقلي، والمنهج العقلي، والحسي،... الخ. ومن المناهج التي سندرسها في مقررنا: منهج المنطق الصوري، ومنهج المنطق الرمزي، والمنهج الجدلي، والمنهج الإشراقي والمنهج التجريبي.

المنطق الصوري

تعريف المنطق

- المنطق **Logic** ويسمى باليونانية **logiké**، وعلم المنطق يسمى أيضاً علم الميزان، إذ به توزن الحجج والبراهين، وكان ابن سينا يسميه خادم العلوم، كما كان الفارابي يسميه رئيس العلوم، وكان الغزالي يسميه القسطاس المستقيم.

- أما اصطلاحاً فالمنطق «صناعة تعطي جملة القوانين التي من شأنها أن تقوّم العقل وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب ونحو الحق في كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات».

- وعموماً: المنطق هو علم القوانين الضرورية الضابطة للتفكير لتجنبه الوقوع في الخطأ والتناقض، فهو يضع المبادئ العامة للاستدلال وللتفكير الصحيح، كما يعرف بأنه علم قوانين الفكر.

- إذا المنطق علم استدلالي يبحث في المبادئ العامة للتفكير الصحيح، وتحديد الشروط التي بواسطتها يصح الانتقال من أحكام فرضت صحتها إلى أحكام تلزم عنها، وهذه المبادئ تنطبق على كل فروع المعرفة.

- ويفرق المناطق بين المنطق الصوري والمنطق المادي. فالصوري يشمل المنطق الأرسطي والتقليدي الذي شاع الأرسطي شرحاً وتوضيحاً واتباعاً، ثم المنطق الحديث، أما المادي فهو علم مناهج البحث ويتضمن المنهج الرياضي الاستنباطي، المنهج الاستقرائي التجريبي والمنهج التاريخي.

- ويعد أرسطو Aristotle المؤسس الأول للمنطق الصوري. واستعمله أداة للبرهنة في بقية العلوم، لأن موضوعه، بنظره، عقلي. فالمنطق يدرس صور الفكر البشري بغض النظر عن مضامينها الواقعية.

- وهكذا فإن المنطق علم يوجه العقل نحو الحقيقة، ويسمح له، من خلال عملياته المختلفة (التصور البسيط، والحكم والتصديق، والمحاكمة والاستدلال)، بإدراكها، من دون أن يقع في الخطأ أو في الضلال. فالمنطق يدرس، إذن، عمليات العقل الثلاث، من حيث الصحة والفساد

قوانين الفكر الأساسية

- **قانون الهوية:** ويعني أن لأي شيء ذاتية خاصة يحتفظ بها من دون تغيير، فالشيء دائماً هو هو (أ هو أ) فالهوية تقترض ثبات الشيء على الرغم من التغيرات التي تطرأ عليه، فأنا هو الشخص ذاته الذي كنته منذ عشرين عاماً على الرغم مما طرأ علي من تغير.

- **قانون عدم التناقض:** ينكر هذا القانون إمكان الجمع بين الشيء ونقيضه، فلا يصح أن يصدق النقيضان في الوقت نفسه وفي ظل الظروف نفسها، إذ لا يصح القول إن هذا الشيء وفي هذا الوقت «أزرق» وليس «أزرق» [(أ) لا يمكن أن تتصف بأنها(ب) وبأنها (لا ب) معاً].

- **قانون الثالث المرفوع:** ويعني أن أحد المتناقضين لا بد أن يكون صادقاً إذ ليس هناك احتمال ثالث بجانب المتناقضين يمكن أن يكذبهما معاً، ولا يوجد وسط بينها، فإما أن تثبت محمولاً معيناً لموضوع ما وإما أن نفيها عنه.

وهذه القوانين هي شروط يجب أن يخضع لها التفكير ليكون يقينياً، فهي مبادئ يعتمد عليها الاستدلال أيأ كان نوعه.

مباحث المنطق الصوري

وتشمل مباحثه: منطق الحدود أو التصورات، منطق القضايا أو الأحكام، منطق الاستدلال.

أولاً- منطق الحدود:

الحد هو وحدة الحكم الأساسية، وتمثل الكيان العقلي الذي تقابله الإدراكات الحسية التي نفهمها من التصور. والحد في المنطق هو أحد أجزاء القضية، كما في القضية (الحاسب آلة عصرية) لفظ «الحاسب» هو الحد الأول من حدود القضية ويسمى موضوعاً، و«آلة عصرية» الحد الثاني من حدودها ويسمى محمولاً. وتنقسم الحدود إلى: المفرد والمركب، والخاص والعام (الجزئي والكلي)، والعيني والمجرد، والمطلق والنسبي، والموجب والسالب، والمفهوم والمصدق).

ثانياً: منطق القضايا:

«القضية»: هي الجملة التي تعطي خبراً، ويمكن الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة. وتقسم القضايا في المنطق إلى: القضايا الحملية والقضايا الشرطية.

ثالثاً: الاستدلال: وهو نوعان، استدلال مباشر واستدلال غير مباشر.

والاستدلال المباشر نوعان أيضاً، التقابل والتكافؤ. أما الاستدلال غير المباشر: فيقصد به القياس syllogism.

والقياس الأرسطي، الذي تعبر عنه علاقات جوهرية وضرورية وأكيدة، يصلح أداة للعلم والمعرفة اليقينية. أما إذا كانت مقدماته مبنية على آراء أو علاقات معقولة ومحتملة، فإنه يصلح أداة لجدل يحملنا إلى المعرفة المحتملة والأمور الظاهرية، ويسمح لنا، نسبياً، بالإجابة عن جميع الأسئلة المطروحة المتعلقة بالخاص والفصل النوعي والعرض والجنس، وباستخراج النتائج الصحيحة من المقدمات استخراجاً من دون تناقض.

المنطق الرمزي

تعريف المنطق الرمزي

- المنطق الرمزي نمط جديد من الدراسات المنطقية جاء نتيجة التطورات العلمية الحديثة، وخاصة في مجال الرياضيات.

- يسمى المنطق الرمزي Symbolic Logic بأسماء عديدة منها: لوجستيقا Logistic أو جبر المنطق Algebra Of Logic أو المنطق الرياضي Mathematical logic، أو المنطق الصوري الحديث New Formal Logic. وكلها عبارات مترادفة.

- ويسمى المنطق الرمزي لأن لغته الرموز لا الكتابة والحديث؛ واستخدام الرموز شرط ضروري لإقامة هذا المنطق، لكنه شرط غير كاف ليكون رمزياً، بل يجب - إلى جانب استخدام الرموز - أن يدرس العلاقات المختلفة بين الحدود في قضية ما. والعلاقات المختلفة التي تربط بين عدة قضايا. ووضع القواعد التي تجعل من القضايا التي يرتبط بعضها ببعض قضايا صادقة دائماً.

- وترجع تسمية المنطق الرمزي باللوغستيقا إلى إتلسن Etelson ولالاند Lalande وكوتيرا Couturat في المؤتمر الدولي بباريس عام 1904.

- وقد استخدم ليبنتز الكلمة المرادفة لعبارتي المنطق الرياضي وحساب البرهنة.

- وفي القرن التاسع عشر سمي المنطق الرمزي أيضاً "جبر المنطق"، وترجع هذه التسمية إلى جورج بول G.Boole الذي جعلها اسماً لنظريته في جبر الأصناف. ثم استخدمها بيرس وشرويدر للدلالة على نظريات المنطق الرمزي كلها، حيث صيغت جميعها على نموذج جبر الأصناف

- ويسمى المنطق الرمزي كذلك " المنطق الرياضي" وبيانو Piano هو أول من استخدم هذا التعبير، وكان يعني به نوعين من البحث، كان يعني أولاً صياغة المنطق الجديد تستخدم الرموز والأفكار الرياضية، ويعني به ثانياً البحث في رد الرياضيات إلى المنطق.

- وللمنطق الرمزي عدة تعريفات أفضلها ما اشتمل على بيان موضوعه: وموضوع هذا المنطق هو الاستدلال. الاستدلال هو الانتقال من قضية أو أكثر ونسبها مقدمة أو مقدمات إلى قضية أخرى ونسبها نتيجة. وترتبط المقدمات برباط معين بحيث إذا قبلنا المقدمات قبلنا النتيجة

- والاستدلال ضربان : استنباطي Deduction واستقرائي Induction، ويعنينا الأول وهو الذي ترتبط فيه المقدمات بالنتيجة بعلاقات منطقية أهمها علاقة التضمن Implcation.
- وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى بعض التعريفات التي قدمت في هذا الجانب من المنطق وهو المنطق الاستنباطي، نورد منها على سبيل المثال لا الحصر :
- بيرس: تكمن الإشكالية الأساسية في علم المنطق في تصنيف البراهين إلى براهين سليمة وبراهين فاسدة.
- كوبي: دراسة المنطق هي دراسة المناهج والمبادئ التي تستعمل للتمييز بين البراهين السليمة والبراهين الفاسدة.
- سامون: المنطق هو العلم الذي يمدنا بأدوات تحليل البرهان .
- بيانو: المنطق هو العلم الذي يدرس خصائص الإجراءات والعلاقات.
- رسل : المنطق الرمزي مختص بالاستدلال بوجه عام، ولذا فإن ما يبحث فيه هو القواعد العامة التي يجري عليه الاستدلال .

خصائص المنطق الرمزي

للنطق الرمزي خاصيتان أساسيتان ، أنه يستخدم الرموز، وأنه نسق استنباطي:

أولاً- الرموز: والرموز التي يستخدمها المنطق الرمزي نوعان :

متغيرات Variables وثوابت Constants

وهما مستعاران من الرياضيات ومن علم الجبر بنوع خاص.

المتغيرات حروف لغوية لا ترمز في ذاتها إلى نشئ محدد، ولكن يمكننا إعطاؤها قيمة محددة، وحينئذ نسمي هذه القيمة (قيمة المتغيرات) .

نقول الحرف (س) في التعبير (س ٢) إنه متغير، ويمكننا إعطاؤه قيمة عددية محددة إذا ورد في تعبير مثل (س ٢ = 4).

وتصاغ قوانين الجبر جميعاً في صورة متغيرات وثوابت

خذ القانون (أ + ب) ٢ = ٢أ + أب + ب ٢ .

نقول عن الحروف أ ، ب إنها متغيرات، وعن علامات الإضافة والمساواة والأس والضرب والقسمة ... إلخ أنها ثوابت .

وقد جرت العادة أن تقسم موضوعات المنطق الرمزي أو الرياضي إلى ما يلي:

أ - منطق أو نظرية القضايا Theory Of Propositions

ب - منطق أو نظرية دالات القضايا Theory Of Propositional Functions

ت - منطق أو نظرية الفئات أو المجموعات Theory Of Sets Or Classes

ث - منطق أو نظرية العلاقات Theory Of Relations

ثانياً- الخاصية الثانية للمنطق الرمزي هي أنه نسق استنباطي إن كل ما لدينا من معرفة يمكن صياغته على صورة قضايا ، وهذه القضايا تتألف من حدود ، وفي كل علم تستنبط بعض القضايا أو يبرهن عليها استناداً إلى قضايا أخر.

إن القضايا التي تشتمل على معرفة تتعلق بموضوع معين ، تصير علماً لهذا الموضوع حينما تنتظم هذه القضايا بحيث يأتي بعضها كنتائج مستنبطة من بعضها الآخر .

رأى أصحاب المنطق الرمزي أن يتألف المنطق لكي يكون نسقاً استنباطياً – من العناصر التالية :

١. أفكار أولية لا معرفة . Primitive Notions.
 ٢. قائمة التعريفات: تعريف الألفاظ التي تستخدمها في بناء نظرية منطقية معينة ونستعين باللامعرفات في تلك التعريفات.
 ٣. مجموعة القضايا الأولية Primitive Propositions التي نبدأ بها بلا برهان.
- يمكننا من تلك العناصر السابقة إقامة قضايا جديدة بطريقة الاستنباط الصوري المحكم مع الاستعانة ببعض قواعد الاستدلال .
- وفيما يلي الخطوات التي ينبغي إتباعها لإقامة نسق منطقي رمزي :
١. إعداد قائمة بالرموز الأولية المستخدمة في النسق .
 ٢. تحديد نوع التوالي أو العلاقة بين هذه الرموز الأولية أو طريقة تتابعها وترابطها على نحو يؤدي إلى تكوين صيغ النسق بطريقة صحيحة .
 ٣. تحديد الصيغ التي يمكن اعتبارها بديهيات ، من بين تلك الصيغ التي تم تكوينها بطريقة صحيحة .
 ٤. تحديد قواعد الاستدلال التي يمكن بواسطتها أن نستدل على صيغ قد تم تكوينها بطريقة صحيحة ، من مجموعة الصيغ التي قد اعتبرناها مقدمات .

أهمية المنطق الرمزي

أن البرهان الفلسفي حسب رأي أنصار المنطق الرمزي، غالباً ما يتعرض إلى غموض والتباسات في معنى الأحكام من ناحية. وعدم وضوح العبارات من ناحية أخرى.

وهذا ما يحاول تفاديه المنطق الرمزي بتقديم الطرق الملائمة للبرهان الفلسفي. ليس هذا فحسب بل أن المنطق الرمزي يؤدي أيضاً كل الأعمال والأغراض التي يقوم بها المنطق التقليدي. فضلاً عن أنه يؤدي مهاماً كثيرة في حقل المعرفة العلمية التي لم يقدر المنطق التقليدي أن يعطيها تمام حقها .

وهكذا فالمنطق الرمزي فيه من الفوائد الجمة والمهمة وفي نواحي كثيرة. حيث أن استخدام الرموز تفيد في التمييز الدقيق بين المعاني المختلفة. وبذلك نتلافى الغموض الموجود في اللغة بعد أن نجعل لكل رمز خاصية يمتاز بها شيئاً معيناً دون الآخر. بمعنى ثأن أن استخدام الرموز في المنطق يوفر الإيجاز الدقيق في التعبير بالنسبة إلى الأحكام المعقدة التي يصعب فهمها إذا وضعت في تعبير لغوي عادي.

- وإذا كان هذا في الجانب اللغوي. فأن استعمال الرموز يفيد أيضاً في الجانب الرئيسي للشيء.

- حيث يمكن أن نستخدم الحروف (ب، ت، ث) بدلاً من الحدود "سقراط" و "فان" و "إنسان" في القياس. وبذلك تبين لنا الرموز أن النتائج البرهانية إنما تتوقف على النسب المجردة التي ترتبط بينها وبين غيرها وليست تتوقف على معاني هذه الحدود الخاصة فقط. علاوة على أن الرموز تفيد في تشخيص صورة القضايا بالدقة الواضحة.
- ولقد ميزه مناطقه بدقة التفاصيل في المباحث الرياضية والهندسية. أنه منطوق علمي جديد في العلوم العقلية يقوم على فكرة نسق البديهيات. حيث اكتشف المنهج الخاص بالبديهيات، فازدادت أهميته في العلم التطبيقي (التكنولوجيا).

أتمنى لكم التوفيق والنجاح

أميرة الخيال